جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور بين التأثر والتجديد

الدكتور
عبد الرحمن محمد أحمد حامد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية البنات الأزهرية بطيبة بالأقصر

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٢٣١/ ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فهذا بحث بعنوان: توجيه المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور بين التأثر والتجديد.

والبحث يكشف عن اهتمام أحد العلماء في العصر الحديث بالكشف عن إظهار بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه في ورود التشابه اللفظي فى القرآن الكريم، وهو العالم الشهير صاحب المؤلفات القيمة الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

والبحث عماده عقد موازنة بين ما ذكره هذا العالم الجليل في تفسيره القيم: التحرير والتنوير في بعض مسائل المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم وما ذكره غيره من العلماء السابقين عليه ممن لهم اهتمام بهذا العلم؛ للوقوف على مدى تأثره بهم وتوضيح وبيان الجديد الذى قدمه في توجيه مسائل المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما **المقدمة** فتحدثت فيها على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

وأما التمهيد فاشتمل على التعريف بالإمام محمد الطاهر بن عاشور.

ثم تناولت في **المبحث الأول**: مفهوم التوجيه ، وتعريف المتشابه ـ وأنواعه والمصنفات في المتشابه اللفظي، وأسباب التأليف في المتشابه اللفظي، وحكمة وجود المتشابه اللفظى في القرآن الكريم.

ثم جاء **المبحث الثانى** بعنوان: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الثانى: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين.

ثم جاء **المبحث الثالث** بعنوان: التجديد في دراسة المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

ثم **الخاتمة** وفيها أهم النتائج التي خلصت إليها من هذه الدراسة.

Summary of the Study

Praise be to Allah and Prayers and Peace be upon the Messenger of Allah and His Family and Companions

This research is entitled, "Directing the Verbal Similarity in the Holly Quran of Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour between the Impact and Renewal". It aimed at investigating the interest of one of the modern scholars who is interested in identifying the revelation of the Holly Quran eloquence and His mystery and miracle in the occurrence of similarity in the Holy Quran. This famous scholar of valuable works is Mohammed Tahir bin Ashour.

This research aimed also to balance between the valuable interpretations of the great scholar, Mohammed Tahir bin Ashour, in his book: "The Liberation and Enlightenment in some Issues of Similarity in the Holy Quran", and those of other former scholars who had an interest in this field in order to find out to what extent he got influenced on them, and to clarify and recognize the new contributions presented in directing the issue of verbal similarity in the Holy Quran.

Further, this research was presented in an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The introduction revealed the importance of the research topic and the reasons of its choice, its methodology, and its plan. The preface introduced Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour. Then, the first chapter consisted of the definition of verbal similarity and the types and works of the verbal similarity, the reasons for the authorship of the verbal similarity, and the wisdom of the existence of similarity in the Holly Quran. The second chapter is entitled, "the influence of former scientists on Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour in the direction of verbal similarity in the Holly Quran. It included two sections; the first one, Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour`s influence of the other works of verbal similarity. The second section: Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour`s influence by the former interpreters. The third chapter is entitled, "Renewal of the verbal similarity in the Holy Quran at Imam Muhammad Al-Taher Bin Ashour study. Finally, the conclusion included the study findings.

مقدمة

الحمد لله الذى خلق فسوى، وقدر فهدى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ــ جلت حكمته ــ (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) . (١)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، ختم الله به الرسالات، وهدى به من الضلالات.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، وكتابه العزيز الذى أحكمت آياته وفصلت كلماته من لدن حكيم خبير، بهرت بلاغته العقول، وأعجزت فصاحته أرباب البلاغة وأصحاب الفنون، وإن من أكبر آيات بلاغته وأعظم مظاهر إعجازه ذلك التشابه اللفظي بين كثير من آياته، فقد تتشابه الآيتان أو الثلاث، ويختلف نظمها بتقديم وتأخير، أو تأنيث وتذكير، أو إضمار وإظهار، أو إفراد وجمع، أو ذكر وحذف، مما اصطلح عليه العلماء بالمتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، مما حدا بعلماء الأمة قديما وحديثا أن يجعلوا دراسة المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم محل اهتمامهم ومحط أنظارهم، فالعلماء منذ القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر الهجرى تعددت مصنفاتهم، وتوالت هممهم، وتواصلت جهودهم، وتلاقت أفكارهم حينا وتباينت حينا آخر محاولة منهم للكشف عن إظهار بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه في هذا التشابه اللفظي وقد كان من بين العلماء الذين أولوا المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم اهتمامهم وأعاروهم انتباههم الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره القيم "التحرير

---

(١) سورة الإسراء،آية:٨٨

والتنوير" فأحببت أن يكون لى معه وقفة أظهر من خلالها اهتمامه بهذا الجانب، مبينا تأثره بالعلماء السابقين عليه، ومظهرا ما أبداه من ملاحظات وإسهامات وإضافات فيما تناوله من مسائل علم المتشابه اللفظي.

ومما دعانى لتناول هذه الدراسة أننى لم أجد أثناء بحثى في مصادر البحث المختلفة رسالة، أو بحثا، أو كتابا، أو دراسة سابقة تكشف عن اهتمام الإمام محمد الطاهر بن عاشور بتوجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، وهذا ما شجعنى على بحثه ودراسته، وإنما توجد بحوث ورسائل تتعلق بالطاهر بن عاشور من حيث منهجه في التفسير، أو من حيث استدراكاته في تفسيره على من سبقه في أسباب النزول، أومن حيث آرائه الأصولية، أو من حيث آرائه في الإصلاح التربوى، إلى غير ذلك مما هو بعيد عن موقف الطاهر بن عاشور من توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم.

كما كان من أسباب بحثى في هذا الموضوع كثرة الآيات القرآنية التي اشتملت على بعض الاختلافات اللفظية في القرآن الكريم، وما يمثله هذا اللون من العلم بما يقدمه من أسرار تكشف عن حكمة هذا الاختلاف من البرهان القاطع والدليل الساطع على بلاغة وإعجاز القرآن الكريم ولأن البحث في المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم فيه الرد البليغ على أعداء الإسلام الذين يتخذون من هذا التشابه مادة للطعن في كتاب الله ــ تعالى ــ، وقد أسميت هذا البحث بـ: توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور بين التأثر والتجديد.

وقد اعتمدت في بحثى هذا على المنهج الاستقرائى التحليلى، وذلك بتتبع ما ذكره الإمام محمد الطاهر بن عاشور من توجيه لبعض الآيات المتشابهة تشابها لفظيا، مع عقد موازنة بين ما ذكره في المسألة وما ذكره غيره من أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي وأصحاب التفاسير الكبرى ممن لهم اهتمام بهذا

العلم؛ للوقوف على مدى تأثره بهم، وتوضيح وبيان الجديد الذى قدمه في توجيه مسائل المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة في هذا البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما **المقدمة** فاشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

وأما **التمهيد** فاشتمل على التعريف بالإمام محمد الطاهر بن عاشور، من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ومناصبه، وأشهر مؤلفاته، ووفاته، والتعريف بتفسيره وبيان منهجه فيه وسبب تأليفه، وموقفه من آيات المتشابه اللفظي.

وأما **المبحث الأول** فتحدثت فيه عن مفهوم التوجيه ، وتعريف المتشابه. وأنواعه والمصنفات في المتشابه اللفظي، وأسباب التأليف في المتشابه اللفظي، وحكمة وجود المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم.

ثم جاء **المبحث الثانى** بعنوان: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين.

ثم جاء **المبحث الثالث** بعنوان: التجديد في دراسة المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

ثم **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

تمهيـــــد

التعريف بمحمد الطاهر بن عاشور

اسمه ونسبه:

هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشـــور، الشهير بالطاهر بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، وكان يوصـــف ويُلَقّبُ: الشيخ الأستاذ، وُلد بضاحية المرسى بالعاصمة التونســيّة، فـــي أســـرةٍ، تنتمي إلى أشراف المغرب الأدارسة، استقرّت في بلاد الأندلس.

مولده ونشاته:

ولد في ضاحية المَرْسى، قـــرب العاصـــمة التونســـية ســـنة ١٢٩٦ هـ ــ ١٨٧٩م، ونشأ في بيت عريق، اشتهر بالعلم والشرف والصلاح، تعلم في ضاحيته التي نشأ فيها القرآن حفظا وتجويدا وقراءات، كما تعلم علوم العربية.

التحق الشيخ محمد الطاهر بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ ــ ١٨٩٣م، وهو في الـــرابعةَ عشرَ من عمره ، وقد كانت الزيتونة مسجدا من المســـاجد العتيقـــة التي نشرت العلم على نطاق واسع وتلقى فيه علوم القرآن والقراءات والحديث، والفقه المالكى وأصوله والفرائض، والسيرة، والتاريخ، والنحو واللغـــة والأدب والبلاغة، وعلم المنطق، واستمر حتى انتهى من الدراسة في أرقى مســـتوياتها، وتخرج من الزيتونة ليعمل في مختلف المناصب الدينية.

وقد أسهم الشيخ ــ رحمه الله ــ إسهاما فعالا في الحركة الوطنية بتونس، وكان زميلا من زملاء الجهاد مع الشيخ الأكبر محمد الخضر حسين التونسى الذى تولى مشيخة الأزهر بمصر. وكلاهما كان عالما ممتازا، وعلى إيمان قوى، ودخلا السجن، ونالا من المتاعب في سبيل وطنهما ودينهما الكثير.

مناصبه:

تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، كما تولي منصب القضاء سنة ١٢٦٧ هـ، ثم الفتيا سنة ١٢٧٧، كما كان نقيبا لأشراف تونس، كما كان عضواَ مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة.

أشهر مؤلفاته:

ألف ابن عاشور عشرات الكتب في أنواع العلوم المختلفة، فألف في التفسير، والحديث والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم، ومن أشهر وأهم مؤلفاته: تفسيره المسمَّى: "التحرير والتنوير" و" مقاصد الشريعة "، والوقف وآثاره في الإسلام، وأصول النظام الاجتماعى في الإسلام، و" كشف المغطا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ "، و" أصول الإنشاء والخطابة "، و" النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح و" تحقيق ونشر" ديوان بشار بن برد"، وغيرها من الكتب.

وفاته وثناء العلماء عليه:

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس سنة (١٣٩٣) هـ، الموافق (١٩٧٣) م عن عمر يناهز الـ (٩٨) عاماً.

قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ــ رحمه الله ــ: " وللأستاذ فصاحةُ منطقٍ، وبراعةُ بيانٍ، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر: صفاءَ الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق،... وهمَّةً طمَّاحة إلى المعالي، وجِداً في العمل لا يَمَسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".

ووصفه العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ــ رحمه الله ــ قائلاً: " عَلَم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحِّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقْرَأ، وأفاد، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي.(١)

رحم الله ابن عاشور، وجزاه خير الجزاء على ما قدم من علم نافع ، وتجاوز عنه بإحسانه وكرمه.

التعريف بتفسيره وبيان منهجه فيه:

إن تفسير محمد الطاهر بن عاشور المسمى بالتحرير والتنوير اسمه الكامل: " تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، في تفسير الكتاب المجيد"، ثم سمي اختصاراً بـ " التحرير والتنوير، إذ يقول عنه في مقدمة تفسيره: وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد؛ من تفسير الكتاب المجيد. واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير.(٢)

وتفسيره هذا من أقيم وأفيد التفاسير المعاصرة، أمضى مؤلفه في تفسيره قرابة الأربعين عاماً إذ يقول: وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني

---

(١) تنظر ترجمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلى١٧٤/٦ نشر دار العلم للملايين ــ ط خامسة عشر ــ سنة ٢٠٠٢م ، وكتاب: تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ٣/ ٣٠٤ وحتى ٣٠٧ نشر دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط ثانية ــ ١٩٩٤م ، وكتاب: محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية ، الجزء الأول : شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ــ تأليف: محمد حبيب ابن الخوجة ص ١٥٣ وما بعدها ــ ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ــ قطر ــ ط سنة ١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م ، ومقدمة كتاب : فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور لـ د/ محمد بن إبراهيم بوزغيبة ص ١١ وما بعدها ــ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ــ دبى ــ ط أولى ــ سنة ١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م.

(٢) التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور١/٨ــ٩ نشر الدار التونسية ــ تونس ــ ط سنة ١٩٨٤م.

عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف، فكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر.(١)

وهو تفسير يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وقد اشتمل هذا التفسير على الكثير من الفوائد واللطائف ، وأكثر فيه من دراسة الكثير من المسائل في شتى العلوم سواء كانت شرعية أو لغوية أو بلاغية أو غيرها من فروع العلم ، كما كان حريصا على بيان مناسبة الآيات بعضها لبعض.

وقد بدأ ــ رحمه الله ــ فى تفسيره بمقدمة ذكر فيها بعض المباحث في علوم القرآن، كما ذكر فيها مقصودة من هذا التفسير، وأبان عن منهجه في تفسيره ، إذ يقول: وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت ــ أيضا ــ ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.....ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير..... ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير.(٢)

سبب تأليفه للتفسير:

أما عن سبب تأليف محمد الطاهر بن عاشور لهذا التفسير، فقد ذكر في مقدمة كتابه أن تأليفه التفسير كان أمنية عنده تراوده بين الحين والآخر، إلى أن عقد العزم على بدء تأليفه بعد توليه الإفتاء، حيث يقول في تمهيده لهذا التفسير:

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٦٣٦

(٢) التحرير والتنوير ١/٨

كان أكبر أمنيتى منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوى لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره.(١)

موقفه من آيات المتشابه اللفظي:

يعد كتاب التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور من بين كتب التفسير من أهم مصادر توجيه المتشابه اللفظي لآيات القرآن الكريم، فقد اهتم ابن عاشور اهتماما بالغا بالمتشابهات اللفظية، فكان دائم التوجيه لكثير من الآيات المتشابهة لفظيا وتأثر كثيرا بآراء العلماء السابقين ممن كان لهم مصنفات واهتمام بهذا النوع من العلم فتأثر بالخطيب الإسكافي في كتابه درة التنزيل، وبالكرماني، وبابن الزبير الغرناطي وبغيرهم من أصحاب المصنفات في توجيه المتشابه اللفظي، كما تأثر بعلماء التفسير السابقين ممن كان لهم اهتمام بتوجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم ، كالزمخشري ، والرازى، وأبى حيان ، والبيضاوى وغيرهم من علماء التفسير، كما سيظهر هذا جليا أثناء تناول المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بالعلماء الذى اهتموا بهذا النوع من العلم، الذى هو الموضع الأساس لهذا الدراسة التي بين يدى.

---

(١) التحرير والتنوير ١/٥

المبحث الأول

تمهيد: مفهوم التوجيه في اللغة:

التوجيه مصدر الفعل الثلاثي المضعف العين (وجه). يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: الوجه: مستقبل كل شيء. والجهة: النحو. يقال: أخذت جهة كذا، أي: نحوه.(١)

وفي مقاييس اللغة: "الواو والجيم والهاء أصل يدل على مقابلة الشيء، ووجهت الشيء جعلته على جهة واحدة، وأصل جهته وجهته.(٢)

وجاء في لسان العرب: "وجه الكلام السبيل الذي تقصده به، وصرفت الشيء عن وجهته، أي سننه، وجهة الأمر ووجهته: وجهه، والوجهة جميعا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، وظل وجهة أمره أي قصده، والوجهة: القبلة، وشبهها في كل وجهة؛ أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه.

ويقال: وجه الإنسان محياه، والمواجهة المقابلة، ولقيه وجاها ومواجهة، قابله وجها بوجه. فالفعل(وجه)، والفاعل (موجه) والشيء الذي وقع عليه فعل الفاعل (موجه) والفعل برمته (توجيه).(٣)

فالوجه والتوجيه في استعمالات اللغة تدور حول معنى السبيل والقصد والجهة والموضع الذى تقصده وتريده، فهذه أكثر المعاني استعمالا.

---

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ٦٦/٤ تحقيق: د / مهدى المخزومى ــ د/ إبراهيم السامرائى ــ نشر دار ومكتبة الهلال.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي مادة: وجه ٨٨/٦ ــ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ نشر دار الفكر ــ سنة ١٣٩٩هـ ــ١٩٧٩م

(٣) لسان العرب لجمال الدين بن منظور ، مادة:وجه٥٥٦/١٣ ــ ٥٥٧ نشر دار صادر ــ بيروت ــ ط ثالثة ــ سنة ١٤١٤ه.

مفهوم التوجيه في الاصطلاح:

عرفه الجرجاني بقوله: إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل على وجه ينافي وجه الخصم.(١)

وقد عرفه الدكتور عبد العزيز الحربي بقوله: "وحقيقة التوجيه في العلوم هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على غير الوجه الصحيح أو قد لا يفهم أصلا، أو يفهم مع انقداح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشارح وييسر تلك الصعوبة ويحل كل غموض.(٢)

فالتوجيه يعنى تفسير وتوضيح ما أشكل فهمه بسبب غموض أو صعوبة تعلقت بهذا الشئ الذى يراد تقريبه ، حتى يفهم على وجهه الصحيح ، وتزول شبه من فهمه على وجه يحتمل الخطأ.

---

(١) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ص ٦٩ــ نشر دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ طبعة أولى سنة ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م

(٢) توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا لعبد العزيز بن علي الحربي ص٦٢. رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ــ سنة ١٤١٧هـ.

المبحث الأول: تعريف المتشابه:

يطلق المتشابه في اللغة على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضه بعضا، وعلى ما يلتبس من الأمور.

فالشين، والباء، والهاء. أصل واحد يدل على تشابه الشئ وتشاكله لونا ووصفا، والمشبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا وهذا دخل في شكل هذا.(١)

والشَّبه والشِّبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشئ الشئ: ماثله، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه. والمشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات: المتماثلات.

وشبه عليه غلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره. فالمتشابه من الفعل اشتبه أو تشابه. أي التبس فلم يتميز ولم يظهر. نقول اشتبهت القبلة، أي التبست على المصلى ولم تبد واضحة ولا مستبينة.(٢)

ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه، إطلاقا لاسم السبب على المسبب، ونظيره

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة: شبه ٢٤٣/٣

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي١٩٣/٤ـــ تحقيق: عبد الحميد هنداوي ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠ م ، لسان العرب ، مادة: شبه ٥٠٣/١٣ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي مادة: شبه ــ نشر المكتبة العلمية ــ بيروت.

المشكل سمي بذلك، لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه، ثم يقال لكل ما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل.(١)

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية لمعنى التشابه، يظهر أن التشابه له معنيان:

الأول: بمعنى المماثلة، وقد جاء ذلك في وصف القرآن الكريم، قال ــ تعالى ــ (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ)(٢) أي متشابهة أجزاؤه ومتماثلة في فصاحة ألفاظها وشرف معانيها.(٣)

الثانى: التشابه بمعنى الالتباس أو الإشكال، فإن الأمور لا تشتبه إلا بوجود التماثل.

قال ابن قتيبة: أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله.(٤) ثم ربطوا التشابه بالالتباس والشك، وإن لم يكن حاصلا في الأمر أو الشيء بل للشبه بالغير.

وأشكل الأمر: التبس، وأمور أشكال: ملتبسة، وبينهما أشكلة: أي لبس. ومن ذلك يقال: أمر مُشكِل، كما يقال: أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا.

---

(١) مفاتيح الغيب لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي١٣٨/٧ نشر دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ــ ط ثالثة ــ سنة ١٤٢٠هـ .

(٢) سورة الزمر ، آية:٢٣

(٣) التحرير والتنوير٣٨٥/٢٣

(٤) تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص ٦٨ تحقيق: إبراهيم شمس الدين ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.

والشُكلَة: الحمرة تختلط بالبياض، ومنه قيل للأمر المشتبه: مشكل. وأشكل على الأمر: اختلط.[١] فالتشابه لغة يستعمل في معنى المماثلة والمشاكلة والالتباس.

تعريف المتشابه في الاصطلاح:

المتشابه في اصطلاح المفسرين: ما تشابهت ألفاظه الظاهرة مع اختلاف معانيه. أي أن يشتبه اللفظان في الظاهر ولكن يختلفان في المعنى، كما قال الله ــ تعالى ــ في وصف الجنة(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا)[٢] أي متفق المناظر ومختلف الطعوم.[٣]

وعرفه الراغب بقوله: ما أَشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى.[٤] وهو بهذا يشير إلى نوعى المتشابه.

تعريف المتشابه اللفظي:

من أجل وضع تعريف محدد ودقيق للمتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، لا بد من بيان أنواع المتشابه في القرآن، فمتشابه القرآن حين يذكر فإنه يطلق على نوعين من المتشابه في اصطلاح المؤلفين في علوم القرآن، وهما:

الأول: المتشابه المعنوى، وهو يقابل المحكم، وقد اختلف العلماء في تعريف هذا النوع وبيان المراد منه في القرآن الكريم.

---

(١) لسان العرب ، مادة : شكل ٣٥٧/١١

(٢) سورة البقرة،آية:٢٥

(٣) مفاتيح الغيب للرازى١٣٨/٧

(٤) المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ص ٤٤٣ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ــ نشر: دار القلم، الدار الشامية ــ دمشق بيروت ــ طبعة: أولى ــ ١٤١٢ هـ.

فقيل في تعريفه: هو ما لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى بيان برده إلى غيره، فتارة يبين بكذا وتارة بكذا، لحصول الاختلاف في تأويله. والمحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان.

وقيل في تعريفه: إن المتشابه ما احتمل وجوها، والمحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه.

وقيل: المتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استأثر الله بعلمه، والمحكم ما علم العلماء تأويله.(١)

وخلاصة هذه التعريفات يفيد أن المتشابه المعنوي المراد به الغامض المشكل أو ما استأثر الله ــ سبحانه ــ بعلمه كعلم المغيبات، وعلم الساعة، أو أنه ما التبس فهم المراد منه، بحيث اختلف ظاهره عن المعنى المراد به.

وقد تناوله الزركشى في البرهان في النوع السادس والثلاثين (معرفة المحكم من المشابه) كما تناوله السيوطى في الإتقان، وفي معترك الأقران، وفي التحبير في علم التفسير.(٢)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٤/٣ ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ طبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ، دراسات في علوم القرآن الكريم لـ د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ص ٣٩٣ــ٣٩٤ــ الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

(٢) البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٦٨/٢ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ــ طبعة: أولى ــ١٣٧٦ هـ ــ١٩٥٧ م الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى٣/٣ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي١٠٣/١ــ نشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ طبعة: أولى ــ ١٤٠٨ هـ ــ١٩٨٨ م ، التحبير فى علم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ١٠١ تحقيق: زهير نور ــ ط وزارة الأوقاف الإسلامية ــ الدوحة ــ ط أولى ــ ١٤١٦ه.

وأشهر المؤلفات في هذا النوع: كتاب مشكل القرآن لابن قتيبة المتوفي ٢٧٦ه وكتاب: حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضى المتوفي ٤٠٦ه، وكتاب: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المتوفي ٤١٥ه.

والمصنفات في هذا النوع ــ المتشابه المعنوي أكثر من التأليف في المتشابه اللفظي حتى صار هذا النوع هو ما يتبادر إلى الأفهام عند إطلاق مصطلح "متشابه القرآن" دون النوع الآخر المتشابه اللفظي.

النوع الثاني: المتشابه اللفظي، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام، لغرض بلاغى، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا من آتاه الله علما وفهما لأسرار كتابه، وهى بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه.(١)

وعرفه الزركشى بقوله: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفاصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء.(٢) ومراده بالقصة: الأمر والموضوع مطلقا، سواء ورد الاختلاف في أثناء القصة القرآنية أو غيرها.(٣)

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ١/ ٥٥ــ٥٦ ــ دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ــ نشر: جامعة أم القرى ــ طبعة أولى ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى١/١١٢

(٣) مقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ١/٥٥ ــ دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ــ نشر: جامعة أم القرى ــ طبعة أولى ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م

فالمتشابه اللفظي عبارة عن الآيات التي فيها ألفاظ متماثلة أو متشابهة، وفيها زيادات في بعض الأحيان، وفيها نقص في أحيان أخرى، وفيها تقديم في آية وتأخير في آية أخرى، أو تعريف في آية وتنكير في أخرى إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف، وتكون هذه الاختلافات لأغراض بلاغية أو لأي معنى آخر على حسب ما يفتح الله ــ تعالى ــ به على من يشاء من عباده.

موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

إن موضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشابه لفظي. إذ يتعرف به على تلك الظاهرة التي امتاز بها القرآن الكريم، من تكرار بعض آياته في عدة مواضع بألفاظ متشابهة وأساليب متنوعة : تقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا وتذكيرا وتأنيثا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا...، إلى غير ذلك من الأنواع التي يتناولها هذا العلم، مما قد يظنه البعض تكرارا خاليا عن الفوائد والأسرار، وهو لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم

أنواع المتشابه اللفظى القرآن الكريم:

اختلفت عبارات المصنفين في توجيه المتشابه اللفظي حول بيان أنواعه وأقسامه، حيث إن كل محاولة لحصر أنواع المتشابه تعد محاولة اجتهادية، جاءت على حسب الترتيب الذى سار عليه كل مؤلف في كتابه، فوجدت أن حصر أنواع المتشابه اللفظي مما يتعذر، فسأكتفي بذكر أمثلة للمتشابه اللفظي يفهم من خلالها أنواعه وأقسامه:

الاختلاف في اختيار الصيغة:

مثال ذلك قوله ــ تعالى ــ في سورة هود(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[١] مع قوله ــ تعالى ــ(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)[٢] حيث جاء التعبير في الآية الأولى(ليهلك) بالفعل المضارع وفي الثانية(مهلك) بالاسمية.

ومن الاختلاف في صيغة الماضى والمضارع، ما جاء بصيغة المضارع في الأنعام في قوله ــ تعالى ــ(وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٣] وفي الأعراف في قوله(وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٤] مع ما جاء بصيغة الماضى في سورة يوسف(وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ).[٥]

الاختلاف في الإفراد والجمع:

من الاختلاف بين الآيات المتشابهة في الإفراد والجمع، ما جاء في سورة البقرة في قوله ــ تعالى ــ (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً)[٦] فقد جاءت لفظة(معدودة) وصفا مفردا لأيام وفي آل عمران جاءت جمعا(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ)[٧] والموصوف في المكانين واحد وهو أيام.

---

(١) سورة هود،آية:١١٧
(٢) سورة القصص،آية:٥٩
(٣) سورة الأنعام،آية:٣٢
(٤) سورة الأعراف،آية:١٦٩
(٥) سورة يوسف،آية:١٠٩
(٦) سورة البقرة،آية:٨٠
(٧) سورة آل عمران،آية:٢٤

ومن ذلك ما تشابه في سورة الأعراف في قصة صالح، وشعيب ــ عليهما السلام ــ مع قومهما، حيث جاء في قصة صالح(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)[١] فجاء لفظ الرسالة مفردا، بينما جاء لفظ الرسالة جمعا في قصة شعيب، قال ــ تعالى ــ(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ).[٢]

الاختلاف في التذكير والتأنيث:

مثال ذلك ما جاء في سورة النساء في قوله ــ سبحانه ــ (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ)[٣] فجاء الوصفان بالتأنيث، بينما ورد الوصفان بالتذكير في سورة المائدة قال ــ تعالى ــ(إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ).[٤]

الاختلاف في التعريف والتنكير:

مثال ذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله ــ تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)[٥] حيث جاء لفظ "بلدا" بالتنكير في دعاء إبراهيم ــ عليه السلام ــ، بينما جاء اللفظ معرفا بالألف واللام في سورة إبراهيم في قوله ــ تعالى ــ(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا).[٦]

---

(١) سورة الأعراف،آية:٧٩
(٢) سورة الأعراف،آية:٩٣
(٣) سورة النساء،آية:٢٥
(٤) سورة المائدة،آية:٥
(٥) سورة البقرة،آية:١٢٦
(٦) سورة إبراهيم،آية:٣٥

الاختلاف في اختيار الحرف:

من ذلك قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا)[١] حيث عطف لفظ "كلا" بالواو دون الفاء، بينما جاء في سورة الأعراف العطف بالفاء دون الواو(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا).[٢]

ومن ذلك قوله ــ تعالى ــ في سورة الأنعام(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[٣] حيث ورد العطف بـ(ثم) بينما جاء العطف في آية النمل بالفاء(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ).[٤]

الاختلاف في الذكر والحذف:

من ذلك الآيات التي جاء فيها قوله ــ تعالى ــ(من تحتها) كقوله ــ تعالى ــ(أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[٥] فكل ما ورد في القرآن الكريم جاء بحرف الجر(من) إلا في آية سورة التوبة ، فإنها جاءت بحذف حرف الجر (من) (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ).[٦]

الاختلاف في التقديم والتأخير:

من الآيات المتشابهة في موضوع التقديم والتأخير قوله ــ تعالى ــ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

---

(١) سورة البقرة،آية:٣٥
(٢) سورة الأعراف،آية:١٩
(٣) سورة الأنعام،آية:١١
(٤) سورة النمل،آية:٦٩
(٥) سورة البقرة،آية:٢٥
(٦) سورة التوبة،آية:١٠٠

صَالِحًا فَلَهُمْ)[١] حيث جاء تقديم النصارى على الصابئين في آية البقرة، بينما جاء في سورة الحج تقديم الصابئين على النصارى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ).[٢]

الاختلاف في الفصل والوصل:

مثال ذلك ما جاء في قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ)[٣] حيث فصلت جملة (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) عما قبلها، بينما جاءت بالوصل بالواو في آية سورة إبراهيم(إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ).[٤]

ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله ــ تعالى ــ(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)[٥] فقد جاءت الآية هنا بالوصل، بينما جاءت في الأعراف بالفصل(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).[٦]

المصنفات في المتشابه اللفظى القرآن الكريم

المصنفون في هذا النوع من أنواع علوم القرآن، علي اتجاهين:

الاتجاه الأول:

اعتني فيه من أفرده بالتأليف بسرد الألفاظ القرآنية الواردة في صور شتى من حيث التقديم والتأخير، والزيادة والنقص، والتعريف والتنكير، والجمع والأفراد، ونحوها من الصور التي يمكن حصر المتشابه فيها.

---

(١) سورة البقرة،آية:٦٢
(٢) سورة الحج،آية:١٧
(٣) سورة البقرة،آية:٤٩
(٤) سورة إبراهيم ،آية: ٦
(٥) سورة البقرة،آية:٥٨
(٦) سورة الأعراف،آية:١٦١

ومن هذه المؤلفات: متشابه القرآن لعلى بن حمزة الكسائى[١] ت ١٨٧، وحل الآيات المتشابهات لمحمد بن الحسن بن فورك[٢] ت ٤٠٦ه، وهداية المرتاب لعلى بن محمد السخاوى[٣] ت ٦٤٣ه وهذه الكتب وغيرها مما ألف على هذا النحو أشبه ما تكون بمعاجم لجمع الآيات المتشابهة من غير توجيه وبيان لأسباب الاختلاف بين الآيات.

---

(١) هو:علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، أبو الحسن الكسائي ، من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها ، وهو وَأحد السَّبعة وإمام النُّحَاة . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. توفي بالريّ، عن سبعين عاما. ينظر ترجمته معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ص ٧٣ ــ نشر دار الكتب العلمية ــ ط أولى ــ سنة ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧م ،غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير ابن الجزري ٥٣٥/١ ــ نشر مكتبة ابن تيمية.

(٢) هو: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الأصبهاني الشافعي أبو بكر . اشتهر ببراعته فى كثير من العلوم ، فهو الإمام المتكلم، المفسر، الفقيه، الأصولي ، النحوي ، الأديب ، له ما يقرب من المائة مؤلف في أصول الدين، وأصول الفقه ، ومعاني القرآن. توفى سنة سِتّ وَأَرْبع مائة. ينظر ترجمته فى الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي٢٥٤/٢ تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ــ نشر دار إحياء التراث ــ بيروت ــ نشر:١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م

(٣) هو: علي بن مُحمّد بن عبد الصَّمد العلاّمة علم الدّين أَبُو الْحسن الهَمْداني السَّخاوي الْمصْرِيّ شيخ القرّاء بِدِمَشْق ، ولد سنة ثمانٍ أَو تسع وَخمسين وَخمْس مائَة ، أصله من صخا بمصر، سكن دمشق، وتوفي فيها. شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، وقرأ القراءات بالديار المصرية ، من كتبه : جمال القرء وكمال الإقراء ، منظومة في متشابه كلمات القرآن . وتوُفي سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وست مائَة. ينظر ترجمته فى الوافى بالوفيات٤٣/٢٢ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى١ /٥٦٩

الاتجاه الثاني:

مصنفات قصد منها واضعوها تفسير الآيات المشكلة من حيث اللفظ مع نظائر لها، وسلكوا طريقة التوجيه والتعليل العام لهذه الآيات، التي ــ غالبا ــ ما رتبوها حسب ورودها في سور القرآن.(١)

ومن أهم وأقدم المصنفات التي وصلت إلينا من هذا النوع:

١. كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب محمد بن عبد الله الرازي المشهور بالإسكافي المتوفي٤٢٠هـ .(٢)

٢. البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة نصر الكرماني المتوفي ٥٠٠هـ .(٣)

---

(١) متشابه القرآن ــ مفهومه ــ موضوعه ــ حكمته وفوائده أ د / نادى محمود حسن الأزهرى ص ٢٩ ط أولى ــ سنة ١٤٣٠ه ــ ٢٠٠٩م نقلا عن علوم القرآن بين البرهان والإتقان لـ د/ حازم سعيد حيدر ص ١٥١.

(٢) هو: مُحَمَّد بن عبد الله الْخَطِيب الإسكافي أَبُو عبد الله اللّغَوِيّ صَاحب التصانيف ، كَانَ عالما بالأدب واللغة، من أهل أَصْبَهَان ، لقب بالخطيب الأصبهانى نسبة إلى أصبهان وهو موطنه الأصلى ، وبالرازى نسبة إلى الرى ، وهى التى تولى فيها الخطابة ، أما الإسكافى فنسبة إلى الأسكفة وهى حرفة كان يعمل بها ، من كتبه : درة التنزيل وغرة التأويل ، ومبادئ اللغة ، ونقد الشعر. ينظر ترجمته فى الوافى بالوفيات٢٧١/٣ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى ١٤٩/١ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر ــ المكتبة العصرية ــ لبنان / صيدا

(٣) هو: مَحْمُود بن حَمْزَة بن نصر الْكرْمَانِي النَّحْوِيّ، قَالَ ياقوت: هُوَ تَاج الْقُرَّاء، وَأحد الْعلمَاء الفهماء النبلاء صَاحب التصانيف وَالْفضل. كَانَ عجبا فِي دقة الْفَهم وَحسن الاستنباط ، من تصانيفه: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ذكر فِيهِ الْآيَات المتشابهات الَّتِي وَقع تكرارها فِي الْقُرْآن الْعَظِيم ، وسببها وفائدتها ، وحكمتها. ينظر ترجمته فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة٢٧٧/٢، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص١٤٩ــ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ــ نشر مكتبة العلوم والحكم ــ السعودية ــ ط أولى، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م

٣. ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل، وتوجيه المتشابه اللفظي من آي التتريل لأحمد بن إبراهيم الزبير الغرناطي المتوفي ٧٠٨.[١]

٤. كشف المعاني عن متشابه المثانى للقاضي بدر الدين بن جماعة.[٢]

٥. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبى يحيى زكريا الأنصارى المتوفي ٩٢٦ه.[٣]

---

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ، ورواية الحديث ، والتفسير ، والأصول. من تصانيفه: ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل ، والبرهان في ترتيب سور القرآن. توفى سنة ٧٠٨ ثَمَان وَسَبْعمائة . ترجمته فى البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ٣٤/١ نشر دار المعرفة ــ بيروت ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عَبْد الحَيّ ابن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني ٤٥٤/١ ــ تحقيق: إحسان عباس ــ نشر دار الغرب الإسلامي ــ بيروت.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، شيخ الإسلام وقاضي القضاة في الشام ومصر ، ولد في حماة وعاش فيها ، وعاش فترة بدمشق ومصر.كان وافر التأليف، فألف في التفسير وعلوم القرآن ، والفقه ، والأخلاق، والتاريخ ، والنحو وغيرها. له تصانيف، منها: المنهل الرويّ في الحديث النبوي، وكشف المعاني في المتشابه ، مَاتَ بِمصْر سنة ثَلَاث وَثَلَاثِينَ وَسَبْعمائة. ترجمته فى أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي٢٠٨/٤ نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت ــ لبنان، دار الفكر، دمشق ــ سوريا ــ ط أولى ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨ م. ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة٢٠١/٨

(٣) هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ، أبو يحيى: شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة ــ بشرقية مصر ــ وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ نشأ فقيرا معدما، له تصانيف كثيرة، منها: فتح الرحمن ، وتحفة الباري على صحيح البخاري. وَمَات في سنة ٩٢٦.ترجمته فى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ٢٣٤/٣ــ نشر دار مكتبة الحياة ــ بيروت، الأعلام للزركلى٤٦/٣

الدراسات الحديثة المتعلقة بموضوع المتشابه اللفظي:

وجدت دراسات علمية حديثة، تناولت موضع المتشابه اللفظي من جوانب مختلفة، ومن هذه الدراسات:

١. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم للدكتور محمد بن على الصامل، ذكر فيه مؤلفات العلماء في المتشابه اللفظي، وناقش فيه عدة مسائل في عشرة مواضع للآيات المتشابهة في القرآن الكريم.

٢. متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي للدكتور/ محمود حسين مخلوف

٣. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ــ إعداد: صالح بن عبد الله بن محمد الشثرى، وهى رسالة دكتوراه مقدمة لفرع البلاغة في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة ــ وقد نوقشت عام ١٤٢١ه، وهى عبارة عن دراسة لتراث أهل العلم في توجيه المتشابه اللفظي.

٤. التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي ــ رسالة ماجستير للباحث: عائض بن مبارك الحربي ــ جامعة الملك عبد العزيز، تناول فيها توجيهات الخطيب الإسكافي، ودرس مسالك التوجيه عنده، وبين فضله في السبق في مجال التأليف في المتشابه، وما تميزت به توجيهاته.

٥. ابن أبى الإصبع المصرى وجهوده في المتشابه القرآنى ــ للدكتور/ يوسف بن عبد الله الأنصارى، بين فيه جود ابن أبى الإصبع في توجيه الآيات المتشابهات في القرآن الكريم.

٦. المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم وتوجيهه ــ رسالة دكتوراه للباحث/ محمد بن راشد البركة ــ جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ــ كلية أصول الدين.

٧. بلاغة المتشابه اللفظى فى تفسير البحر المحيط لأبى حيان ــ رسالة دكتوراه للباحثة مريم بنت عبد الله بن على القرشى ــ جامعة أم القرى ــ كلية التربية.

٨. أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظى فى القصص القرآنى ــ دراسة تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب ــ عليهم السلام ــ ــ رسالة ماجستير للباحثة ــ تهانى بنت سالم بن أحمد ــ جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين.

أسباب التأليف في المتشابه اللفظي:

كانت هناك جملة من الأسباب التي دفعت أصحاب المصنفات في توجيه المتشابه اللفظي للتصنيف في هذا العلم:

١. أهمية موضوع هذا العلم ــ علم المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه ـــ إذ إن موضوعه آيات القرآن ؛ فهو يبحث في الآيات المتشابهة فى القرآن الكريم ويعمل على توجيهها ورفع الإشكال الظاهر عنها.

٢. الردّ على المشككين والطاعنين في القرآن بسبب ما فيه من هذا التشابه والتكرار الذي قد تخفي حكمته على آحاد الناس، فكان في التأليف في متشابه القرآن عون للرد على المشككين الذين يطعنون في القرآن.

ومما يوضح ذلك أن ابن الزبير الغرناطي جعل هذا المقصد جزءاً من عنوان كتابه؛ حيث سمّاه: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل بتوجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.

٣. الإجابة عن بعض الإشكالات، وحلّ بعض الأسئلة، التي تعرض لها بعض المؤلفين من مسائل المتشابه اللفظي في القرآن.

وفي ذلك يقول ابن جماعة: واتفق إلقاء دروس في التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثها من النفائس، وربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألمّت به في أسفارها المسطورة.. فتُحلُّ

تلك الأسولة بما يفتح الله به إما منقول أو غير منقول، وقد استخرت الله ــ تعالى ــ في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه باختصار.(١)

٤. من أسباب التأليف في المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم؛ إبراز وجه من أوجه الإعجاز البلاغي ــ البياني ــ للقرآن الكريم.

وفي ذلك يقول ابن جماعة في مقدمة كتابه: " قد عُلم أن القرآن نزل بأفصح لغات العرب وكلامها، وتضمّن فنون أنواع فصاحتهم وأقسامها، توسيعاً لمجالهم في معارضة شيء منه إن قدروا، وبياناً لعجزهم عن الإتيان بمثل ذراه ولو تسوّروا.

فلذلك تنوّعت موارده، وتشعّبت مقاصده، وعمّت فوائده، وناسبت ألفاظه مواضعها، وصادفت فصاحته مواقعها. وسأذكر ــ إن شاء الله ــ بعض ما يظهر به ما خفي من ذلك، سالكاً في إيراده أقرب المسالك ".(٢)

٥. من مقاصد التأليف في المتشابه اللفظي، أن فيه حثا على زيادة التفكر والتدبر في آيات القرآن الكريم، والبحث عن دقائقه وأسراره.

يقول الخطيب الإسكافي: " فعزمت عليها بعد أن تأمّلت أكثر كتب المتقدّمين والمتأخرين، وفتّشت عن أسرار معاني المتأوّلين المحقّقين المتبحّرين... ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً.. وليس على الله بأمر منكر مستبدع أن يعثر خاطر عبد ربيء على كنز حكمة في القرآن خبيء، أو يبلّغه في لطيف من لطائف كلامه حدّاً، لا يبلغه أحد وإن كان أوحداً ".(٣)

---

(١) مقدمة كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لبدر الدين بن جماعة ص٦٤ ــ تحقيق د/ عبد الجواد خلف ــ سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ــ كراتشى ــ باكستان ــ ط سنة ١٤١٠ه ــ ١٩٨٩م توزيع مكتبة ابن تيمية.

(٢) مقدمة كشف المعانى ص ٨١

(٣) درة التنزيل وغرة التاويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ٢١٨/١ دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ــ نشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها ــ طبعة: أولى ــ سنة ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م.

ويقول ابن الزبير الغرناطي ــ أيضاً ــ: " وإنّ مما حرّك إلى هذا الغــرض، وألحقه عند من تحلّى ولوعاً باعتباره، والتدبّر لعجائبه الباهرة وأسراره...فحرّك من فكري الساكن، وأضربت عن فسحته بالاستدراك بلكن، وأبديت بحول ربّي من مكنون خاطري إلى الظهور، ما أثبتّه بعون الله وقوّته في هذا المسطور ".(١)

كما أن قلّة التصنيف في المتشابه اللفظي وندرته ــ وخصوصاً في توجيهه ــ كانت سبباً في إقدام بعض المؤلفين على التأليف فيه.

حكمة وجود المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم:

لم يخل وجود المتشابه بنوعيه في القرآن الكريم من حكمة، فكان من الحكم السامية التي من أجلها أودع الله ــ تعالى ــ المتشابه في القرآن الكريم ما يلى:

١. إثبات عجز الإنسان وقصوره، وإقامة الدليل القاطع على قــدرة الله الخارقــة، وعلمه المحيط بكل شئ، وأنه فوق كل ذى علم عليم، وإذا علم الإنسان بشئ، أو تعلم علما إنما هو بفضل ما أفاض الله عليه، قال ــ تعالى ــ (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ).(٢)

٢. الابتلاء والاختبار، وتمييز المؤمن الذي يقابل هذا المتشابه بالتسليم والانقياد، فلا يؤوّله تأويل أهل البدع والضلال الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وهذا ما يشير إليه قوله ــ تعالى ــ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْــهُ آيَــاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).(٣)

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ص٨ ــ نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان

(٢) سورة البقرة،آية:٢٥٥

(٣) سورة آل عمران،آية:٧

٣. التعبد بتلاوته، حيث يُؤجر المؤمن بقراءة هذا المتشابه وإن لم يعلم حقيقة والسر الذى انطوى عليه ، كما يُثاب على قراءة المنسوخ حكمه من الآيات.

٤. إظهار تفاضُل الناس فيما بينهم وتمييز العالم من الجاهل؛ إذ لو كان القرآن كله مُحكَمًا بحيث لا يخفي على أحد، لما حصل هذا التميز؛ لأن الكل يمكنه الوقوف على معناه من خلال ظواهر النصوص.

يقول الإمام الزركشي ــ رحمه الله تعالى ــ: ومنها: إظهار فَضْل العالم على الجاهل، ويستدعيه عِلمه إلى المزيد في الطلب في تحصيله؛ ليحصُل له درجة الفضل، والأنفس الشريفة تتشوَّف لطلب العلم وتحصيله.(١)

٥. التعامل مع القرآن بأنه كل لا يتجزَّأ، وذلك برد المتشابه إلى المُحكَم، كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)(٢) فسمَّى الله المُحكَم بأم الكتاب؛ أي: أصله والمرجع الذي يرجع إليه عند التشابه.

وقد نقل الإمام السيوطي ــ رحمه الله تعالى ــ في كتابه الإتقان عن ابن الحصار قوله قسَّم الله آيات القرآن إلى مُحكَم ومُتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب؛ لأن إليها تُردُّ المتشابهات، وهي التي تُعتَمد في فَهْم مراد الله من خَلْقه في كل ما تعبَّدهم به من معرفته وتصديق رسله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات.(٣)

٦. إظهار تفاضُل العلماء فيما بينهم، فبعض الآيات المتشابهات قد تخفي على بعض أهل العلم وتنجلي للبعض الآخر؛ إذ لو كان القرآن كله محكما، لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.

---

(١) البرهان فى علوم القرآن٢/٧٥

(٢) سورة آل عمران،آية:٧

(٣) الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ٣/١٠ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ طبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٧. تعظيم أجر العلماء الذين يجتهدون في تفسير هذه المتشابهات، ولا شك أن هذا النوع من التفسير فيه مشقة كبيرة، حيث يبذُل المفسر جُهدَه وطاقته ووُسْــعه للوقوف على مراد الله تعالى بهذه الآية، وكما يقال: الأجر على قدر المشقة.

يقول الإمام فخر الدين الرازي ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسيره مفــاتيح الغيب: متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشــق، وزيادةُ المشقة توجِب مزيد الثواب.(١)

٨. اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر إلى تحصيل علوم كثيرة: مثل اللغة، والنحو، وأصول الفقه مما يعينه على النظر والاستدلال، فكان وجود المتشابه سببا في تحصيل علوم كثيرة.(٢)

---

(١) مفاتيح الغيب١٤١/٧

(٢) مفاتيح الغيب١٤٢/٧ ، وينظر متشابه القرآن أ د/ نادى محمود الأزهــرى ص٨٢ــــ٨٨ بتصرف

المبحث الثانى :

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء السابقين في توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم.

المطلب الأول :

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.

إن من أبرز الكتب التي تناولت المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، واستوعبت الكثير من الآيات المتشابهة، واعتنى أصحابها بتوجيه هذه الآيات المتشابهة تشابها لفظيا في القرآن الكريم خمسة كتب وهى: كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب محمد بن عبد الله الرازي المشهور بالإسكافي المتوفي٤٢٠ه، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة نصر الكرماني المتوفي ٥٠٠ه ، وملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل، وتوجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم الزبير الغرناطي المتوفي ٧٠٨ه، وكشف المعاني عن متشابه المثانى للقاضي بدر الدين بن جماعة وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبى يحيى زكريا الأنصاري المتوفي ٩٢٦ه.

وقد تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير عند توجيهه لبعض آيات المتشابه اللفظى القرآن الكريم بهؤلاء العلماء أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، فكان يذكر أحيانا توجيها موافقا لما ذكروه جميعا أو ذكره أكثرهم. وأحيانا أخرى يذكر توجيها انفرد به أحدهم أو خالف به ما ذكره غيره من أصحاب هذا العلم، فتأثر بالخطيب الإسكافي في الدرة، وبالكرماني في أسراره وبرهانه، وبأبي جعفر الغرناطي في ملاك التأويل، وبابن جماعة في كشفه للمعانى، وبأبي زكريا الأنصاري في الفتح، فكان يذكر المعنى الذى تأولوه جميعا أو الذى ذكره أحدهم في مؤلفه ومصنفه.

وإليك بعض الشواهد التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم في حال اتفاقهم على توجيه.

فمن المواضع التي تناولها ابن عاشور في توجيه المتشابه اللفظي وجاء رأيه موافقا لما ذهب إليه أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي ما جاء في سورة البقرة في قصة إبراهيم ــ عليه السلام ــ في قوله ــ تعالى ــ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)[١] وفي سورة إبراهيم جاء قوله (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ).[٢]

حيث جاء لفظ "بلدا" بالتنكير في دعاء إبراهيم ــ عليه السلام ــ في سورة البقرة، بينما جاء اللفظ معرفة في سورة إبراهيم.

فيذهب ابن عاشور في توجيهه لهاتين الآيتين. أن سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ في قوله:" اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا " دعا بهذا الدعاء قبل الاستقرار حيث كان المكان قفرا ووواديا غير ذى زرع ولا توجد مقومات للحياة فيه. فلفظ "هذا" في هذه الآية إشارة للمذكور في قوله ــ تعالى ــ (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)[٣] وكان ذلك عند ترك إسماعيل وأمه هاجر في الوادى قبل بناء مكة والبيت الحرام، فدعا ربه أن يصبح المكان بلدا آمنا وأن تتوفر فيه وسائل الحياة والرزق.

أما قوله ــ تعالى ــ في سورة إبراهيم " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا " فقد كان هذا الدعاء بعد الاستقرار، وبعد البناء، بعد أن صار المكان بلدا، وبعد عودته ــ عليه السلام ــ إلى مكة.

حيث يقول: ثم إن كان المشار إليه في وقت دعاء إبراهيم أرضاً فيها بيت أو بيتان. فالتقدير في الكلام: اجعل هذا المكان بلداً آمناً أي قرية آمنة، فيكون

---

(١) سورة البقرة،آية:١٢٦

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٥

(٣) سورة إبراهيم،آية:٣٧

دعاء بأن يصير قرية وأن تكون آمنة...، وأما حكاية دعوته في سورة إبـــراهيم بقوله: (اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) فتلك دعوة له بعد أن صار بلداً.(١)

وما ذكره ابن عاشور هو ما ذكره أصحاب مصنفات توجيه متشابه القرآن في توجيههم لهذا الموضع.

يقول الإسكافي: الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلـــداً، كأنـــه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً ؛ لأنه ــ تعالى ــ حكى عنه أنه قال: (رَّبَّنَا إِنِّـــى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ)(٢) فقال: ههنا اجعل هذا الوادي بلداً آمناً، والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلداً، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الـــذي صـــيرته بلداً ذا أمن وسلامة، كقولك: جعلت هذا الرجل آمناً.(٣)

وقد وافق الخطيب الإسكافي في توجيهه الذى قال به ابن عاشورــ أيضاــ الكرماني، وابن جماعة، والأنصاري من علماء المتشابه.

قال الكرماني: قَوْله (رب اجْعَل هَذَا بَلَدا آمنا)، وَفِي إِبْرَاهِيم (هَذَا الْبَلَد آمنا) لِأَن "هَذَا" هُنَا ــ أي في سورة البقرة ــ إِشَارَة إِلَى الْمَذْكُور فِي قَوْله (بِوَادٍ غَيْـــرِ ذي زَرْعٍ) قبل بِنَاء الْكَعْبَة، وَفِي إِبْرَاهِيم إِشَارَة إِلَى الْبَلَد بعد الْكَعْبَة، فَيكون (بَلَدا) فِي هَذِه السُّورَة الْمَفْعُول الثَّانِي و (آمنا) صفته (وَهَذَا الْبَلَد) فِي إِبْرَاهِيم الْمَفْعُـــول الأول و (آمنا) الْمَفْعُول الثَّانِي.(٤)

---

(١) التحرير والتنوير ١/٧١٥

(٢) سورة إبراهيم،آية:٣٧

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيـــب الإسكافي ١/٢٨٢ ــ٢٨٣.

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصـــر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ص ٧٨ تحقيق: عبد القـــادر أحمـــد عطـــا ــ نشـــر دار الفضيلة.

وقال أبو يحيى الأنصاري: قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَـداً آمناً..).فـإن قلتَ: لم نكَّر البلد هنا وعرَّفه في إبراهيم؟

قلتُ: لأن الدعوة هنا، كانت قبل جعل المكان بلداً دائم الأمنِ في الأول، وبلداً آمناً في الثاني.(١) وقد وافقهم على هذا المعنى ابن الزبير في أحد قوليه،(٢) وابن جماعة في كشف المعاني.(٣)

ومن المواضع التي تناولها ابن عاشور في توجيه المتشابه اللفظي، وجاء رأيه موافقا لعلماء المتشابه ما جاء في سورة الأنعام في قولـه ــ تعـالى ــ(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)(٤) حيث قدم رزق المخاطبين على رزق أولادهم المدلول عليه بعطف ضميرهم عليه، وفي سورة الإسراء قـدم رزق الأولاد على رزق المخاطبين في قوله ــ تعالى ــ(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ).(٥)

فيشير ابن عاشور ــ رحمه الله ــ إلى أن الخطاب في آية الأنعـام لقـوم فقراء حقيقة يهمهم رزقهم أولا، ثم رزق أولادهم ثانيا، فقدم رزقهم لأنه عنـدهم أهم، أما آية الإسراء فالخطاب فيها لغير الفقراء فهم غير مفتقرين في الحـال، لكنهم يخشون الفقر مستقبلا فيظهر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظنة القلة المتوقعة أما رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدم رزق الأولاد لأنـه

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبى يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريـا الأنصاري ص ٣٩ تحقيق :محمد علي الصابوني ــ نشر دار القرآن الكريم، بيروت ــ لبنان ــ طبعة أولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م.

(٢) ملاك التأويل ص٥٠

(٣) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لأبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن سـعد الله بـن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين ص١٠٥ــ١٠٦ تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف ــ نشر: دار الوفاء ــ المنصورة ــ طبعة أولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

(٤) سورة الأنعام،آية:١٥١

(٥) سورة الإسراء،آية:٣١

أهم؛ ولهذا جاء التعبير في آية الأنعام بقوله" مِنْ إِمْلَاقٍ " أي من فقر واقع، أما آية الإسراء فجاء التعبير فيها بقوله" خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ " أي فقر متوقع.

فقد قال ابن عاشور عند تفسيره لآية سورة الأنعام: والإملاق: الفقر، وكونه علّة لقتل الأولاد يقع على وجهين: أن يكون حاصلاً بالفعل، وهو المراد هنا، وهو الذي تقتضيه "من " التّعليلية وأن يكون متوقَّع الحصول كما قال ـ تعالى ـ، في آية سورة الإسراء(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) لأنَّهم كانوا يئدون بناتهم إمّا للعجز عن القيام بهنّ وإمَّا لتوقّع ذلك...

وجملة: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) معترضة، مستأنفة، علّة للنّهي عن قتلهم، إبطالاً لمعذرتهم: لأنّ الفقر قد جعلوه عذراً لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النّفس، فقد بيّن الله أنَّه لمّا خَلق الأولاد فقد قدّر رزقهم، فمن الحماقة أن يظنّ الأب أنّ عجزه عن رزقهم يخوّله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسِبَ لهم.

وذكَرَ الله رزقهم مع رزق آبائهم، وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنَّه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعاً، كذلك يرزق الأبناء، على أن الفقر إنَّما اعترى الآباء فلِمَ يُقتل لأجله الأبناء.(١)

وهذا التوجيه الذى ذكره ابن عاشور هو ما اتفق عليه أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.

يقول الخطيب الإسكافي: فأما قوله في سورة الأنعام: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) فلأن قبله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) أي: من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم، فكأنه قال: الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم.

---

(١) التحرير والتنوير٨/١٥٨ـ١٥٩

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها: (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) والإملاق غير واقع، فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد، وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم، ثم عن القاتلين، أي: لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر، فالله يرزقهم وإياكم، فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه، وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره.(١)

وقال ابن الزبير في ملاك التأويل في جوابه عن هذا المتشابه: إن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حال قتلهم، فقيل " مِنْ إِمْلَاقٍ " أي من أجل الاملاق الحاصل ثم قيل لهم " نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " فقدم رزقه ــ تعالى ــ لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم وكأن السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكأن قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم كفار العرب وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤنتهن فيما يتوقعونه مستقبلا فقيل " خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ " فجعلت الخشية هي العلية في فعلهم، فانتصبت على ذلك، والمعلول الذى هو الإملاق لم يقع بعد ، وضمن ــ تعالى ــ لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء. وكان الأهم هنا فقدم، وجاء كل في الموضعين على ما يجب ويناسب.(٢)

وقال ابن جماعة: قوله ــ تعالى ــ: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وفي " سبحان ": (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) الآية؟

جوابه: أن قوله ــ تعالى ــ: (مِنْ إِمْلَاقٍ) وهو الفقر، خطاب المقلين الفقراء، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ) ما يزول به إملاقكم،

(١) درة التنزيل وغرة التأويل٢/٥٦٢ــ٥٦٣

(٢) ملاك التأويل ص١٧٢ــ١٧٣

ثم قال: (وَإِيَّاهُمْ) أي نرزقكم جميعا. وقوله تعالى: (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) خطاب للأغنياء، أي خشية إملاق يتجدد لهم بسببهم، فحسن: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ).[١]

وقد وافقهم على هذا التوجيه ــ أيضا ــ الكرمانى ،[٢] وأبو يحيى الأنصاري في فتح الرحمن.[٣]

ومن المواضع التي وافق فيها قول ابن عاشور قول علماء المتشابه، ما جاء في توجيه الآيتين من سورة الكهف في قوله ــ تعالى ــ(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)[٤] والآية التي بعدها في قوله (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا).[٥]

حيث خلت الآية الأولى التي وقع فيها الإنكار على خرق السفينة من قيد "لك" واشتملت عليه الآية الثانية التي جاء فيها الإنكار على قتل الغلام.

فيذهب ابن عاشور إلى أن الآية الأولى قصد الخضر ــ عليه السلام ــ تذكير موسى ــ عليه السلام ــ بوصيته له وبما شرطه عليه في قوله(فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)[٦] فخاطبه بلطف في أول إنكار عليه، وفي الآية الثانية كرر موسى الإنكار لما رأي قتل الغلام فشدد عليه الخضر، وأكد كلامه بقوله "لك" زيادة في الإنكار عليه بترك الوصية في المرة الثانية.

---

(١) كشف المعانى ص١٦٩
(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص١١٤
(٣) فتح الرحمن ص١٨٠ــ١٨١
(٤) سورة الكهف،آية:٧٢
(٥) سورة الكهف،آية:٧٥
(٦) سورة الكهف،آية:٧٠

وفي هذا يقول ابن عاشور: قوله ــ تعالى ــ(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) كان جواب الخضر هذا على نسق جوابه السابق، إلا أنه زاد ما حكي في الآية بكلمة (لَكَ) وهو تصريح بمتعلّق فعل القول. وإذ كان المقول له معلوماً من مقام الخطاب كان في التصريح بمتعلق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبيت له وتقوية، والداعي لذلك أنه أهمل العمل به.

واللام في قوله(لَكَ) لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو: قلت له، وأذنت له، وفسّرت له؛ وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوماً من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سميت لام التبليغ. ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشدّ.(١)

وهذا هو ما ذكره الخطيب الإسكافي حيث قال: للسائل أن يسأل عن زيادة (لك) في الثانية وإخلاء الأولى منها.

والجواب أن يقال: إنه في الأولى لماّ قرّر موسى وذكر ما كان قدّم القول فيه من أن الصبر على ما يشاهده منه يثقل عليه فقال: (... أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) معناه في غالب ظني: إنك تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر إلى الإنكار، فلما رأي قتل الغلام وعاد إلى الإنكار أكد التقرير الثاني بقوله: (لك) كما يقول القائل: لك أقول، وإياك أعنى، فيقدم (لك) و"إياك " ولو قال: أقول لك، وأعنيك بكلامي لاستويا في المعنى إلا أنّ في (لك) تأكيد الخطاب بالتقديم فكأنه قال: ألم يكن خطابي لك دون مَن سواك، وهذا وجب في الثاني لا في الأول الذي لم تتأكد حجة الخضر ــ عليه السلام ــ كتأكّدها في الثاني.(٢)

---

(١) التحرير والتنوير١٦/٥

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل١/٨٨١ــ٨٨٢

وقد وافق الخطيب الإسكافي وابن عاشور على هذا التوجيه كل من الكرماني،[١] وابن الزبير،[٢] وابن جماعة،[٣] وأبو يحيى الأنصاري[٤] من علماء المتشابه.

قال ابن جماعة: قوله ــ تعالى ــ: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) وقال: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ)؟ جوابه:

أن الخضر قصد بالأولى: تذكير موسى ــ عليهما السلام ــ بما شرط عليه فخاطبه بلطف وأدب معه. وفي الثانية: كرر موسى الإنكار عليه، فشدد الخضر عليه، وأكد القول بقوله (لك) لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه.

وقال أبو يحيى الأنصاري وهو يتحدث عن تدرج إنكار الخضر ــ عليه السلام ــ فى جوابه على حسب إنكار السائل وهو موسى ــ عليه السلام ــ: ولذلك قال في خرق السفينة " أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ " بحذف " لك " وفي قتل الغلام " أَلَمْ أَقُلْ لكَ إِنَّكَ " بذكره، ولأن في ذكره قصدَ زيادة المواجهة بالعتاب على تركِ الوصيَّةِ مرَّة ثانية.[٥]

ومن تأثر ابن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي عند تعرضه لقوله ــ تعالى ــ(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ).[٦]

---

(١) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص١٧٠
(٢) ملاك التأويل ص٣٢٢ــ٣٢٣
(٣) كشف المعانى٢٤٢
(٤) فتح الرحمن ص٣٤٦
(٥) فتح الرحمن ص٣٤٦
(٦) سورة الشعراء، من الآية٧٨ــ٨١

فيلاحظ في هذه الآيات أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أكد نسبة الهداية والإطعام والسقيا والشفاء إليه ــ تعالى ــ باستخدام الضمير "هو" الدال على اختصاصه ــ تعالى ــ بهذه الأشياء؛ بينما في أمر الإماتة والإحياء خلت الآية من ضمير "هو" المفيد التوكيد.

والسر في هذا أن هذه المسائل الأربع ــ الهداية والإطعام والسقيا والشفاء، قد يدعيها غير الله ــ تعالى ــ، فقد يظن أن الأب هو الرازق لأنه الجالب له، وأن الطبيب هو الشافي حيث إنه السبب فيه؛ ولهذا جيء بالضمير المنفصل "هو" الذى أفاد التوكيد.

بينما لم يقل ــ سبحانه ــ هو يميتني أو هو يحييني؛ لأن الحياة والموت بيده ــ تعالى ــ لا يدعيها أحد، ولا يقدر عليها إلا هو ــ سبحانه ــ؛ ولهذا جاءت بدون هذا التوكيد.

وفي هذا يقول ابن عاشور: فأما قوله:(وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ) فلم يأت فيه بما يقتضي الحصر؛ لأنهم لم يكونوا يزعمون أن الأصنام تميت بل عمل الأصنام قاصر على الإعانة أو الإعاقة في أعمال الناس في حياتهم. فأما الموت فهو من فعل الدهر والطبيعة إن كانوا دهريين وإن كانوا يعلمون أن الخلق والإحياء والإماتة ليست من شؤون الأصنام وأنها من فعل الله ــ تعالى ــ كما يعتقد المشركون من العرب فظاهر.[١]

وما ذكره ابن عاشور هنا جاء موافقا لما ذكره الخطيب الإسكافي حيث يقول: للسائل أن يسأل فيقول ما الذي أوجب إدخال " هو" في قوله: (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)، وقوله: (فَهُوَ يَشْفِينِ)، وإخلاء قوله: (وَالَّذِي يُمِيتُنِي) منها، ولم يقل: والذي هو يميتني، كما قال: والذي هو يطعمني؟

---

(١) التحرير والتنوير١٩/١٤٣

والجواب أن يقال: لو جاء: والذي يطعمني ويسقين، وإذا مرضت يشفين، لَكان معلوماً أن مراده الله ــ تعالى ــ. وذكر "هو" توكيداً لمعنى الكلام، وتخصيص الفعل به دون غيره، واحتاج ذكر الإطعام والشفاء إلى هذا التوكيد، لأنهما ممّا يدّعي الخلقُ فِعله، فيقال: فلان يطعم فلانا، والطبيب يداوي، ويسبّب الشفاء، فكانت إضافة هذين الفعلين إلى الله تعالى محتاجة إلى لفظ التوكيد لما يتوهم من إضافته إلى المخلوق ــ إلى ما لا يحتاج إليه.(١)

وقال الكرماني: زَاد "هُوَ" فِي الْإِطْعَام والشفاء؛ لِأَنَّهُمَا مِمَّا يَدعِي الْإِنْسَان أَن يَفْعَله ، فَيُقَال زيد يطعم وَعَمْرو يداوي فأكد إعلاما أَن ذَلك مِنْهُ ــ سُبْحَانَهُ ــ لَا من غَيره وَأما الْخلق وَالْمَوْت والحياة فَلَا يدعيهما مُدع فَأطلق.(٢)

وقد وافق ابن عاشور والخطيب الإسكافي ــ أيضا ــ على هذا المعنى ابن الزبير في ملاك التأويل،(٣) وأبو يحيى الأنصاري في فتح الرحمن.(٤)

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن عاشور في قصة إبراهيم ــ عليه السلام ــ في قوله تعالى (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(٥) وقوله ــ تعالى ــ (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(٦)

حيث لم يذكر في الآية الثانية ما ذكر في الآية الأولى، وهو قوله"إنا".

وقد ذكر ابن عاشور ــ رحمه الله ــ أن الله ــ تعالى ــ لم يذكر "إنا" في الآية الثانية؛ لأنه اكتفي بتأكيد نظيره في الآية الأولى، فحصل الاهتمام فلم يبق

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل١/٩٦٧
(٢) البرهان فى توجيه متشابه القرآن١٩٠
(٣) ملاك التأويل ص٣٧٧
(٤) فتح الرحمن ص٤١٢
(٥) سورة الصافات،آية:١٠٥
(٦) سورة الصافات،آية:١١٠

داع لإعادته، واقتصر على تأكيد معنى الجملة تأكيدا لفظيا؛ لأنه تقرير للعناية بجزائه على إحسانه.(١)

وهذا المعنى هو ما ذكره أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، حيث اتفقوا على أن حذف كلمة "إنا" من الآية الثانية اختصارا واكتفاء بذكرها في الآية الأولى.(٢)

وبهذا يظهر لنا تأثر ابن عاشور بالعلماء أصحاب مصنفات المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم ومدى اتفاقه معهم في كثير من مواضع توجيه المتشابه اللفظي.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالخطيب الإسكافي في توجيه المتشابه اللفظي:

إن الإمام محمد الطاهر بن عاشور كما تأثر بعلماء مصنفات توجيه المتشابه في حال اتفاقهم وإجماعهم على توجيه، كذلك تأثر بهم في حال انفراد أحدهم برأي أو توجيه، فكان أحيانا يوافق قوله قول أحدهم في توجيه بعض آيات المتشابه.

ومن أبرز الذين تأثر بهم ابن عاشور في توجيه متشابه القرآن الخطيب الإسكافي صاحب درة التنزيل وغرة التأويل، إذ يعتبر كتاب الخطيب الإسكافي درة التنزيل عمدة المؤلفات في توجيه المتشابه اللفظي وأسبقها، ولذلك فإن كلّ من ألف بعده في توجيه المتشابه عيال عليه ومتأثرون به مادة ومنهجاً.

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالخطيب عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الأعراف ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

(١) التحرير والتنوير٢٣/١٦٠

(٢) البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى ص٢١٤، ملاك التأويل لابن الزبير ص٤١١، كشف المعانى لابن جماعة ص٣٠٩، فتح الرحمن لأبى يحيى الأنصارى ص٤٨٣.

قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)[١] وقوله ــ تعالى ــ في سورة يونس(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ)[٢] ففي آية سورة الأعراف حذف المتعلق (به) بينما ذكر في آية سورة يونس(كذبوا به).

يقول ابن عاشور في معرض تفسيره لآية سورة الأعراف: وحُذف المتعلق هنا إيجازاً، لأنه قد سبق ذكر تكذيب أهل القرى، ابتداء من قوله ــ تعالى ــ:(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)[٣] وقد سبق في ذلك قوله: (وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[٤] ولهذا لم يحذف متعلق فعل (كذبوا) في نظير هذه الآية من سورة يونس.[٥]

فابن عاشور بنى توجيهه في تفريقه بين الآيتين على ما سبقهما من سياق، فيرى أن كل آية وافقت ما سبقها، فالذي تقدم في سورة الأعراف خلا من التعدية بالباء حيث جاء فيها(أَخَذْنَا أَهْلَهَا) و(وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ) فجاءت الآية بعدها على هذا النحو، وأما في سورة يونس فقد جاء قبل الآية قوله(وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)[٦] فقال(كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بذكر الباء.

وهذا ما ذكره الخطيب الإسكافي حيث قال: سقوط (به) من قوله: (كذبوا) هو للبناء على ما جعل صدرا لهذه الآيات التي نزلت في الترغيب والترهيب، وهو: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[٧] فقوله: (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) لم يذكر له

---

(١) سورة الأعراف،آية:١٠١
(٢) سورة يونس،آية:٧٤
(٣) سورة الأعراف،آية:٩٤
(٤) سورة الأعراف،آية:٩٦
(٥) التحرير والتنوير٩/٣١
(٦) سورة يونس،آية: ٧٣
(٧) سورة الأعراف،آية:٩٦

مفعول، وانساقت الآيات بعد التحذير المتوالي بقوله: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا)[١] ثم ختمت بقوله: (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) فالمكذبون هنا هم المكذبون في قوله (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) فدل على ذلك بأن أجرى مجراه في حذف ما يتعدى إليه كذب وما يتعدى...

وأما قوله ــ تعالى ــ في سورة يونس: (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) وإثبات المفعول به هنا؛ فلأن قبله قصة نوح ــ عليه السلام ــ، وهي (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ)[٢] ثم بعده: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ)[٣] ثم بعده: (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)[٤] فجاء كذب أمام القصة المبنية على القصة التي قبلها متعدية إلى ما وجب لها في موضعها، ونوعى تعديها.. فلما جاء ذاك متعديا جاء هذا مثله وكما لم يجئ في الآية التي في سورة الأعراف متعديا لم يجئ فيما بنى عليه إلا محذوف الفعل.[٥]

ومن المواضع أيضا التي وافق فيها رأي ابن عاشور رأي الخطيب الإسكافي ما جاء في توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة يونس (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ)[٦] وقوله ــ تعالى ــ في سورة غافر(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)[٧] فقد جاء في

---

(١) سورة الأعراف،آية:٩٧
(٢) سورة يونس،آية:٧١
(٣) سورة يونس،آية:٧٣
(٤) سورة يونس،آية:٧٣
(٥) درة التنزيل ٢/٦٤٢ــ٦٤٣
(٦) سورة يونس،آية:٦٠
(٧) سورة غافر،آية:٦١

الآية الأولى في سورة يونس (أكثرهم) بالإضمار، وفي الآية الثانية في سورة غافر(أَكْثَرَ النَّاسِ) بالإظهار فما الفرق إذاً.

فقد أوضح ابن عاشور أن تكرر لفظ الناس مع أنه متقدم في سورة غافر؛ ليفيد تسجيل الكفران عليهم بوجه أصرح، لذا تكرر لفظ الناس عند عدم الشكر كما ذكر عند التفضل عليهم.(١) فتكرر لفظ الناس ووقوع المظهر موقع المضمر دلّ على مزيد التشنيع بهم وبحالهم.

وما ذكره ابن عاشور في هذا التوجيه جاء متأثرا فيه بما ذكره الخطيب الإسكافي، ولكنه ذكره مختصرا، مقتصرا فيه على ذكر المناسبة المعنوية من الإظهار والإضمار بينما جاء قول الخطيب الإسكافي أكثر شرحا وبسطا، ذاكرا فيه المناسبة اللفظية وهى أن الإضمار والإظهار جائزان في اللغة، ثم أوضح المناسبة المعنوية، وهى أن كل موضع يحتمل الإضمار يحمل على قرب الذكر، والإظهار يحمل على تعظيم الأمر وذكر أن ذلك ينبغي أن يحمل على ما يلائم الآيات المتقدمة له فيجمع السياق بين صحة المعنى واللفظ ومشاكلة ما قبله من آيات.

أما آية غافر فقد ذكر أنه جاء في آيتين متقدمتين إظهار اللفظ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(٢) وقوله(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)(٣) فناسب الإظهار، أما آية يونس قبلها بنى على الإضمار كقوله(أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(٤) فناسب الآية الإضمار.

يقول والجواب أن يقال: إنّ كل موضع يحتمل الإضمار لقرب الذكر ويحتمل الإظهار لتعظيم الأمر، وذكر أخصّ الأسماء المقصود بالتقريع والتفنيد فإنه يحمل

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٦/٢٤
(٢) سورة غافر،آية:٥٧
(٣) سورة غافر،آية: ٥٩
(٤) سورة يونس،آية:٥٥

على ما يلائم الآيات المتقدمة له ليكون قد جمع إلى صحة المعنى واللفظ مشاكلة ما قبله من الآي.

فأما قوله تعالى في سورة المؤمن: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) بعد قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) فإنه محمول على الآيات التي قبله، وهي قوله: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[١]، وقال بعده: (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)[٢] ثم جاء (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) فأظهر ذكر الناس كما أظهر في الآيتين قبلها للمشاكلة والملائمة.

وليس كذلك الأمر في سورة يونس ــ عليه السلام ــ، لأن الكلام هناك بني على الإضمار في الآي المتقدمة، ألا ترى أنه قال ــ تعالى ــ مخبرا عمّن يدخل من الظالمين النار: (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)[٣] فانقضى هذا الكلام، واستؤنف خبر عن القوم الذين بعث الله رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليهم فقال: (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)[٤]، فأضمر ذكره في قوله: (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ) ثم قال بعده: (..أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فأضمر ما أضاف إليه أكثر، ثم انتهى إلى قوله تعالى بعده: (.. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) فاقتضى ما بني عليه الكلام في هذه الآيات أن يكون ما بعد الشرط بلفظ الإضمار كما كان ما تقدمه.[٥]

---

(١) سورة غافر،آية:٥٧

(٢) سورة غافر،آية:٥٩

(٣) سورة يونس،آية:٥٢

(٤) سورة يونس،آية:٥٣

(٥) درة التنزيل وغرة التأويل١/١١٢٨ــ١١٣٠

وقول الإسكافي" كل موضع يحتمل الإضمار لقرب الذكر، ويحتمل الإظهار لتعظيم الأمر..) يقصد أن الاسم الظاهر غير ذكر الضمير العائد عليه، فالإظهار يكون لتعظيم الأمر. وهذا هو مراد ابن عاشور فيما ذكره سابقا.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالإمام الكرماني في توجيه المتشابه اللفظي:

تأثر بالإمام الكرماني في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن كثير من العلماء وكان الإمام محمد الطاهر بن عاشور واحدا من بين الذين تأثروا به وأخذوا عنه ، ويظهر لك هذا من خلال هذه الأمثلة التي أسوقها إليك.

فمن المواضع التي ظهر تأثره فيها بالكرماني عند دراسة متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الصافات(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)[١] وقوله ــ تعالى ــ (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)[٢] حيث تكررت الآية الثانية مع بعض التشابه اللفظي مع سابقتها.

فيرى ابن عاشور أن الآية الثانية تأكيد للأولى، أو أن المراد بالأولى أحوال الدنيا وهو وعيد بما حل بهم يوم بدر، وأن المراد بالتولى والإعراض في الآية الثانية أَنْ يَكُونَ حِينا مِنْ أَوْقَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ إِنْذَارٌ بِفَتْحِ مَكَّةَ، أو أَنْ يَكُونَ إلى يوم القيامة.

حيث يقول: قوله ــ تعالى ــ(وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) وهذه نظير التي سبقتها المفرعة بالفاء، على أنه قد يكون هذا التولى غير الأول وإلى حين آخر وإبصار آخر فالظاهر أنه تولّ عمن يبقى من المشركين بعد حلول العذاب الذى استعجلوه، فيحتمل أن يكون حينا من أوقات الدنيا فهو

(١) سورة الصافات،آية:١٧٤ــ١٧٥

(٢) سورة الصافات،آية:١٧٨ــ١٧٩

إنذار بفتح مكة، ويحتمل أن يكون إلى حين من أحيان الآخرة.....وحذف مفعول (وأبصر) في هذه الآية لدلالة ما في نظيرها عليه.(١)

والحق أن ما ذكره ابن عاشور هو ما أرتآه الكرمانى، حيث رأي الكرمانى أن إعادة الآية الثانية للتأكيد، أو لأن الأولى في الدنيا والثانية في الآخرة ، وقد حذف منها المفعول اكتفاء بذكره أولا.(٢)

ومن المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بالكرماني، ما ذكره في توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الفتح (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)(٣) مع قوله ــ تعالى ــ من ذات السورة(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).(٤)

حيث تكرر قوله ــ تعالى ــ(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وجيء في الآية الثانية بكلمة "عزيزا" بدلا من كلمة "عليما".

فيشير ابن عاشور إلى الفرق بين تذييل الآيتين، أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ جاء في الآية الثانية بصفة عزيز دون عليم؛ لأنه ذكر في سياق الإنذار والعذاب والتهديد، فناسبه وصف العزة ــ أي الذى لا يغلب ولا يقهر ــ، بينما جاء في الآية الأولى بوصف عليم؛ لأنه في سياق الوعد بالنصر في المستقبل وهو غيب؛ لذا ناسبه الوصف بالعلم.

حيث يقول قوله تعالى: (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)هذا نظير ما تقدم آنفا إلا أنه أوثر بصفة عزيز دون عليم؛ لأن المقصود من ذكر الجنود هنا الإنذار والوعيد بهزائم تحل بالمنافقين والمشركين فكما

---

(١) التحرير والتنوير٢٣/١٩٨

(٢) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص٢١٥

(٣) سورة الفتح،آية:٤

(٤) سورة الفتح،آية:٧

ذُكر(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيما تقدم للإشارة إلى أنّ نصر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكون بجنود المؤمنين وغيرهما ذكر ما هنا للوعيد بالهزيمة فمناسبة صفة عزيز، أي لا يغلبه غالب.(١)

وهذا المعنى الذى ذكره ابن عاشور هو ما ذكره الكرمانى في البرهان باختصار ووضوح حيث يرى أن الآية الأولى متصلة بإنزال السكينة وازدياد إيمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة، وأما الآية الثانية فمتصلة بالعذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة.(٢)

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بابن الزبير الغرناطي في توجيه المتشابه اللفظي:

يعد كتابه ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي من المصادر المهمة في توجيه المتشابه اللفظي للقرآن الكريم، وهو من أوسع كتب المتشابه، مع ما امتاز به من الوضوح وحسن العبارة لذا فقد تأثر الإمام ابن عاشور بابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل، ومن المواضع التي ظهر فيها تأثره به عند حديثه عن سبب إيراد الفعل بصيغة المضارع في آية الحجر في قوله ــ تعالى ــ(كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)(٣) بينما جاء بصيغة الماضى في الشعراء (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ).(٤)

حيث يرى ابن عاشور(...أن وجه اختيار المضارع في الحجر لأنه دال على التجدد لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغ مضى، وهو الذى أبلغ لشيع الأولين لتقدم ذكرهم، فيتوهم أنهم المراد بالمجرمين مع أن المراد كفار قريش. وأما آية

---

(١) التحرير والتنوير٢٦/١٥٤

(٢) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص٢٢٧

(٣) سورة الحجر،آية:١٢

(٤) سورة الشعراء،آية:٢٠٠

الشعراء فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى..).[١]

وما ذكره ابن عاشور هنا قريب من تعليل وتوجيه ابن الزبير، الذى نظر للآيتين من خلال سياق السورتين، فذكر أن سورة الحجر تناولت من أولها أخبار المكذبين من كفار قريش وما يحملونه من عداوة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورسالته، فجاء التعبير بلفظ المضارع المشعر باستمرار عداوتهم، أما آية الشعراء فتقدمها ذكر أحوال الأنبياء مع أقوامهم كنوح وصالح ولوط وشعيب وموسى ــ عليهم السلام ــ، بعد ذلك جاء الحديث عن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، ثم جاء بعد ذلك (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)[٢] فالكتب السابقة تصدقه، وهو كائن فيها باسمه ووصفه، ثم جاءت الآية(كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ) فلأجل ذلك ناسب ذكر الماضي في الآية.

يقول ابن الزبير: إنه تقدم في آية الحجر قوله تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[٣] وهو قول العتاة من كفار قريش....ولم يتقدم في هذه السورة إخبار بحال غيرهم من مكذبي الأمم سوى التعريف بأن كل قرية أهلكت فبأجل معلوم...فورد هنا (نسلكه) بلفظ المبهم لأن الإخبار عن كفار قريش ممن استمر على كفره فهو حالهم وقت نزول القرآن وبعده. وقوله: (نسلكه) مشعر باستمرار حالهم وموافاتهم على ذلك، وقد تأكد هذا بوصفه بالإجرام وتسجيل حالهم السيء بقوله: (لا يؤمنون)، وأداة لا نافية للمستقبل فناسب هذا لفظ المبهم المضارع.

أما آية الشعراء فقد تقدمها ذكر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم المكذبين، بعد سلوك ما ذكره سبحانه أنه زبر الأولين ــ أي

---

(١) التحرير والتنوير١٩/١٩٤

(٢) سورة الشعراء،آية:١٩٦

(٣) سورة الحجر،آية:٦

القرآن ــ في قلوبهم، فلما تقدم أمرها أولاً وانقطعت أزمانها، وقعت العبارة بالماضي، فقال تعالى: (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ)، ولم يناسب هنا غير الماضي.(١)

ومن المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بابن الزبير الغرناطي عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة النور(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٢) حيث ورد لفظ الآيات بالألف واللام وفي الآية التي بعدها جاء اللفظ بالإضافة للضمير، يقول ــ تعالى ــ (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).(٣)

فيرى ابن عاشور أن هذا من باب التفنن في القول، تجنبا لإعادة لفظ بعينه، حتى لا يعاد الكلام بنفس حروفه وألفاظه، فيصحبه الاستثقال، أما مجيئه على نحو آخر به بعض الاختلافات يكون فيه فائدة جديدة وهى تجديد نشاط السامع، مع ما فيه من تأكيد معنى التبيين.

حيث يقول: وإنما أضيفت الآيات هنا لضمير الجلالة تفنناً ولتقوية تأكيد معنى كمال التبيين الحاصل من قوله:(كذلك).(٤)

وهذا هو ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي حيث يرى أن سبب الاختلاف بين الآيتين في التعريف والتنكير هو أن العرب لا تكرر اللفظ الواحد؛ لكراهة استثقال اللفظ ما لم يحمل على معنى من المعاني، وهو ضرب من التفنن في لغتهم.

فيقول في هذا: لما تقارب اللفظ الواحد عدل عن تكراره بلفظ واحد فيما تقارب، على عادة العرب في استثقالها تكرر اللفظ الواحد بعينه في بيت واحد من الشعر أو ما تقارب من الكلام، ما لم يحمل على ذلك حامل من المعنى، فجيء

---

(١) ملاك التأويل ص٢٩٠
(٢) سورة النور،آية:٥٨
(٣) سورة النور،آية:٥٩
(٤) التحرير والتنوير١٨/٢٩٦

بالآيات في الأولى معرفاً بالألف واللام للعهد فيما تقدم من المعتبرات الواضحة الدلالة، وفي الآية الثانية مضافاً إلى الضمير (المتصل) لتحصل نسبة الآيات لمن هي له تعالى، كانت الثانية هي المضافة لأنها مع ما تعطيه من النسبة مبينة للأولى بياناً تأكيدياً، إذ من المعلوم أنها آياته ــ سبحانه ــ، فجاء ذلك على ما يجب.(١)

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بابن جماعة في توجيه المتشابه اللفظي:

كما تأثر ابن عاشور بالكرماني تأثر أيضا بابن جماعة صاحب كتاب كشف المعاني ومن المواضع التي ظهر تأثره به فيها ما جاء في سورة النحل في قوله ــ تعالى ــ(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(٢) حيث ورد تقديم(مواخر) على الضمير المجرور، وفي سورة فاطر جاءت الآية بتقديم الضمير المجرور بفي على (مواخر) حيث قال الله ــ تعالى ــ(وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).(٣)

ففي هذا الموضع نرى أن آية النحل جاءت على الأصل في الترتيب، فمواخر مفعول ثان لــ(ترى) ثم جاء بعدها الظرف(فيه) أما تقديم (فيه) في فاطر فجاء على خلاف الأصل.

فيرى ابن عاشور في سر هذا الاختلاف أن تقديم الظرف في قوله: (فِيهِ مَوَاخِرَ) في سورة فاطر على عكس آية سورة النحل، لأن هذه الآية مسوقة مساق الاستدلال على دقيق صنع الله ــ تعالى ــ في المخلوقات، وأُدمج فيه

(١) ملاك التأويل٣٧٣
(٢) سورة النحل،آية:١٤
(٣) سورة فاطر،آية:١٢

الامتنان بقوله: (تَأْكُلُونَ.... وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً) وقوله: (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فكان المقصد الأول من سياقها الاستدلال على عظيم الصنع فهو الأهم هنا.

ولما كان طُفُو الفلك على الماء حتى لا يَغْرِق فيه أظهرَ في الاستدلال على عظيم الصنع من الذي ذكر من النعمة والامتنان قدم ما يدل عليه وهو الظرفية في البحر. والمخر في البحر آية صنع الله ــ أيضاً ــ بخلق وسائل ذلك والإلهام له، إلاّ أن خطور السفر من ذلك الوصف أو ما يتبادر إلى الفهم فأخر هنا لأنه من مستتبعات الغرض لا من مقصده فهو يستتبع نعمة تيسير الأسفار لقطع المسافات التي لو قطعت بسير القوافل لطالت مدة الأسفار.(١)

فابن عاشور يرى أن آية سورة فاطر مسوقة في معرض الاستدلال على دقيق صنع الله وعظيم قدرته، فلما كان هذا هو المقصود الأهم ناسبه تقديم الظرف "فيه" وهكذا سائر الجمل جاء تقديمها مناسبا للغرض الأهم، وليس كذلك في سورة النحل، وقد جاء قوله هذا موافقا لما ارتآه ابن جماعة، حيث رأي أن تقديم (فيه) في آية فاطر لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية عظيمة فلذلك كان التقديم أنسب للفلك، وهى آية لبيان قدرة وحكمة الخالق ــ سبحانه.(٢)

ومن المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بابن جماعة عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة لقمان(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(٣) وقوله في سورة الشورى(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(٤) حيث حذفت اللام في آية سورة لقمان، وجاءت آية سورة الشورى بذكرها.

---

(١) التحرير والتنوير٢٢/٢٨٠

(٢) كشف المعانى ص٢٢٦

(٣) سورة لقمان،آية:١٧

(٤) سورة الشورى،آية:٤٣

فيرى ابن عاشور أن آية سورة الشورى جاءت مؤكدة باللام؛ لأنها فيمن صبر على الأذى من شخص آخر ومن غريم له فلم ينتقم منه، وإنما عفا وغفر وصفح عمن أساء إليه، فالصبر في مثل هذا الموطن أقوى والعزم عليه آكد، لذا جاءت الآية مؤكدة باللام "لمن عزم الأمور"، بينما جاءت آية سورة لقمان بدون تأكيد؛ لأنها فيمن صبر على بلاء ألم به من موت عزيز أو مرض أصيب به، إلى غير ذلك من الأقدار التي تصيب الإنسان.

حيث يقول ابن عاشور: وهذه الجملة تفيد بيان مزية المؤمنين الذين تحملوا الأذى من المشركين وصبروا عليه ولم يؤاخذوا به من آمن ممن آذوهم مثل أخت عمر بن الخطاب قبل إسلامه، ومثل صهره سعيد بن زيد، فكان في صبر سعيد خير دخل به عمر في الإسلام، ومزية المؤمنين الذين يصبرون على ظلم إخوانهم ويغفرون لهم فلا ينتصفون منهم ــ ولا يستعدون عليهم.(١)

ويظهر مما ذكره ابن عاشور تأثره بما ذكره ابن جماعة في كشف المعاني، حيث يرى أن الله ــ تعالى ــ لما ذكر في سورة الشورى جواز الانتقام وذكر ترك ذلك لصفتين الصبر والغفران ناسب ذلك التوكيد واللام؛ لأن الصبر والغفران مع القدرة أشد على النفوس منها مع عدم القدرة فالصبر هنا أشد والعزم عليه أوكد، فجاء باللام.(٢)

وهو يشير بذلك إلى الصبر على آذى الآخرين، ممن يملك من وقع عليه الأذى منهم أن يرد عليهم بالمثل، لكنه يعفو ويصفح عن ذلك.

ثم يقول: وأما آية لقمان فهي في صفة واحدة وهى الصبر ولعله فيما ليس له الانتقام فيه فلم يؤكد.(٣)

---

(١) التحرير والتنوير١٢٢/٢٥

(٢) كشف المعانى ص ٣٣١

(٣) كشف المعانى٣٣١

المطلب الثاني

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين

إن المتأمل لما ذكره ابن عاشور في دراسته لمواضع التشابه، يظهر له مدى تأثره الواضح واتفاقه البين مع المفسرين أصحاب المؤلفات الشهيرة في تفسير القرآن الكريم وهذا مما يدل على سعة اطلاعه على كتب السابقين ودقة فهمه لها.

وسيكون الحديث هنا عن تأثر ابن عاشور بالمفسرين السابقين في حالة إجماعهم على رأي واتفاقهم على قول في توجيه بعض مواضع التشابه.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بجمهور المفسرين في توجيه المتشابه اللفظي:

تأثر ابن عاشور بجمهور المفسرين في تأويل متشابه القرآن الكريم، فكثيرا ما كان يذكر المعنى الذى عليه أكثر المفسرين السابقين في توجيه المتشابه اللفظي للقرآن الكريم، وسأذكر بعض المواضع التي قام ابن عاشور بتوجيهها وجاء رأيه موافقا لما عليه أكثر المفسرين السابقين.

من هذه المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بجمهور علماء التفسير، ما ذكره عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)[١] وقوله ــ تعالى ــ (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)[٢] مع ما جاء في قوله ــ تعالى ــ(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) حيث جاء التعبير بصيغة الجمع في سورة البقرة والأعراف وبصيغة التثنية في سورة طه.

---

(١) سورة الأعراف،آية:٢٤

(٢) سورة طه،آية:١٢٣

يقول ابن عاشور: ووجه جمع الضمير في (اهبطوا) قيل لأن هبوط آدم وحواءَ اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنة، فكان إهباطهما إهباطاً لنسلهما، وقيل الخطاب لهما ولإبليس وهو وإن أُهبط عند إبايته السجود.(١)

وهو يشير بقوله: لأن هبوط آدم وحواء اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنة...إلخ إلى أن الخطاب في اهبطوا لآدم وحواء وهو يشمل نسلهما، وبقوله: الخطاب لهما ولإبليس إلى أن الخطاب في اهبطوا لآدم وحواء وإبليس.

وحين تعرض المفسرون السابقون لمسألة الفرق بين جمع الضمير في آية وتثنيته في موضع آخر، ذهب المفسرون في تأويل هذا المتشابه إلى أقوال:

القول الأول:

أن خطاب الجمع في آية البقرة والأعراف لأدم وحواء لتنزيلهما منزلة البشر كلهم ولأنهما أصل الإنس فكأنهما الإنس، وأن خطاب التثنية لآدم وحواء بدليل أنه جاء التعبير في الآية الأخرى بقوله(اهبطا) والمقصود به آدم وحواء.

وقد ذهب إلى هذا القول الإمام النسفي ــ رحمه الله ــ حيث قال: والصحيح لآدم وحواء، والمراد هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا)،(٢) وقال أبو السعود:(وَقُلْنَا اهبطوا) الخطابُ لآدمَ وحواءَ ــ عليهما السلام ــ بدليل قوله ــ تعالى ــ (اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً) وجُمعَ الضمير؛ لأنهما أصلُ الجنس فكأنهما الجنسُ كلُّهم.(٣)

---

(١) التحرير والتنوير ٤٣٤/١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ٨٢/١ نشر: دار الكلم الطيب ــ بيروت ــ طبعة: أولى، ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ٩١/١ نشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

القول الثانى:

أن خطاب الجمع لآدم وحواء والشيطان، وهو رأي الأكثرين، فإبليس داخل فيه؛ لأنه قد جرى ذكره في قوله ــ تعالى ــ(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا).(١)

يقول ابن جزى في التسهيل: (اهْبِطُوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل: بعضكم لبعض عدوّ.(٢)

ويقول ابن القيم وهو يبين الفرق بين الخطاب الذى ورد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع: وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس إذ مدار القصة عليهم.(٣)

وفي هذا يقول ابن عاشور: وقيل الخطاب لهما ولإبليس وهو وإن أُهبط عند إبايته السجود.

وما سبق يتضح لنا تأثر ابن عاشور بما ذكره المفسرون السابقون، حيث ذكر أقوالهم السابقة ورأي ما رأوه.

ومن هذه المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بجمهور المفسرين عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)(٤) حيث فصلت جملة (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) عما قبلها.

---

(١) سورة البقرة،آية:٣٦

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي ٨٠/١ تحقيق د/ عبد الله الخالدي ــ نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤١٦ هـ.

(٣) تفسير القرآن الكريم لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ص١٣٧تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية ــ نشر دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ طبعة أولى١٤١٠ هـ.

(٤) سورة البقرة،آية:٤٩

وفي سورة إبراهيم جاءت الآية بالوصل، يقول ــ تعالى ــ(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ).(١)

وقد كان جواب ابن عاشور عن سر هذا الاختلاف بين الآيتين، أن سورة البقرة لم ترد على نمط التعديد للمحن، وإنما جاءت الآية الثانية بدلا من الأولى، فيكون المراد من سوء العذاب في سورة البقرة تذبيح الأبناء واستحياء النساء.

وأما ما جاء في سورة إبراهيم فأراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يعدد الشدائد والمحن التي كان يعانى منها بنو إسرائيل، وأنجاهم الله منها فعد من ذلك قوله(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) فهذه محنة ثم (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) وهذه محنة أخرى، ثم (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) وهذه محنة ثالثة.

يقول ابن عاشور: وفي آية البقرة جعلت جملة (يُذَبِّحُونَ) بدون عطف على أنها بدل اشتمال من جملة (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) فكان مضمون جملة ويذبحون هنا ــ أي في سورة إبراهيم ــ مقصوداً بالعدّ كأنه صنف آخر غير سوء العذاب اهتماماً بشأنه.(٢)

وما ذكره هنا ابن عاشور هو ما ذكره علماء التفسير كالزمخشري، والرازي، وغيرهما.

قال الزمخشري: فإن قلت: في سورة البقرة (يُذَبّحُونَ)، وههنا ــ أي في سورة إبراهيم ــ (وَيُذَبّحُونَ) مع الواو، فما الفرق ؟ قلت: الفرق أنّ التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفي على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر.(٣)

---

(١) سورة إبراهيم،آية:٦

(٢) التحرير والتنوير١٣/١٩١ــ١٩٢

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ٢/٥٤٠ نشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ طبعة ثالثة ــ ١٤٠٧ هـ.

وقال الرازي: ذكر في سورة البقرة (يُـذَبّحُونَ) وههنـا سـورة إبـراهيم (وَيُذَبّحُونَ) مع الواو فما الفرق؟

والجواب: قال تعالى في سورة البقرة (يُذَبّحُونَ) بغير واو؛ لأنه تفسير لقوله (سُوء الْعَذَابِ) ومثله قوله ــ تعالى ــ (وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَامـاً يُضَـاعَفْ لَـهُ الْعَذَابُ)[١] فالآثام لما صار مفسراً بمضاعفة العذاب لا جرم حذف عنه الواو، أما في هذه السورة ــ سورة إبراهيم ــ فقد أدخل الواو فيه لأن المعنى أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضاً فقوله (وَيُذَبّحُونَ) نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير لما قبله.[٢]

ووافق الزمخشري والرازي على هذا المعنى أبو حيـان،[٣] والنسـفي،[٤] والآلوسى[٥] وغيرهم من علماء التفسير.

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بعلماء التفسير، مـا ذهـب إليه في توجيه وتأويل متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة هود(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[٦] وقولـه ــ تعالى ــ في سورة الذاريات (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْـهِ فَقَـالُوا سَـلَامًا قَـالَ سَـلَامٌ قَـوْمٌ

---

(١) سورة الفرقان،آية:٦٨

(٢) مفاتيح الغيب١٩/٦٦

(٣) البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بـن حيـان أثيـر الـدين الأندلسي ٦/١٠٤تحقيق: صدقي محمد جميل ــ نشر: دار الفكـر ــ بيـروت ــ طبعـة: ١٤٢٠ هـ .

(٤) مدارك التنزيل ٢/١٦٣

(٥) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبـد الله الحسيني الألوسي ٧/١٨٠تحقيق: علي عبد الباري عطية ــ نشـر دار الكتـب العلميـة ــ بيروت ــ طبعة أولى١٤١٥ هـ.

(٦) سورة هود،آية:٦٩

مُنْكَرُونَ)[١] فنلاحظ أن سلام الملائكة جاء منصوبا ورد إبراهيم ــ عليه السلام ــ جاء مرفوعا في السورتين.

فيشير ابن عاشور في توجيهه لهذا الموضع لمناسبتين إحداهما لفظية وأخرى معنوية ، أما اللفظية في قوله: و(سلام) المرفوع مصدر مرفوع على الخبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمري سلام، أي لكم، مثل "فصبرٌ جميلٌ".[٢]

وأما المناسبة المعنوية ففي قوله: ورفع المصدر أبلغ من نصبه، لأنّ الرّفع فيه تناسي معنى الفعل فهو أدلّ على الدّوام والثّبات. ولذلك خالف بينهما للدّلالة على أنّ إبراهيم ــ عليه السّلام ــ ردّ السّلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام. فقوله ــ تعالى ــ حكاية عن إبراهيم" قال سلام" عدل به إلى الرفع، لأن الرفع جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام.[٣] وما ذكره ابن عاشور في هذا التوجيه هو ما ذهب إليه أكثر المفسرين.

فقد قال ابن عطية: وقوله " قال سلام " حكاية للفظه و " سلام " مرتفع إما على الابتداء والخبر محذوف تقديره عليكم، وإما على خبر ابتداء محذوف تقديره أمري سلام وهذا كقوله " فصبر جميل " إما على تقدير فأمري صبر جميل وإما على تقدير فصبر جميل أجمل.[٤]

وقال الرازي بعد أن ذكر الوجوه الإعرابية المذكورة في (سلام) بالرفع وبالنصب مشيرا إلى المناسبة المعنوية: وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى: فَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِالْأَحْسَنِ، فَأَتَى بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ فَإِنَّهَا أَدَلُّ

---

(١) سورة الذاريات،آية:٢٥

(٢) التحرير والتنوير١٢/١١٦

(٣) التحرير والتنوير١٢/١١٦

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي٣/١٨٧ ــ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ــ نشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤٢٢ هـ.

عَلَى الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ، فَإِنَّ قَوْلَنَا جَلَسَ زَيْدٌ لَا يُنْبِئُ عَنْهُ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْإِنْبَاءِ عَنِ التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ وَلِهَذَا لَوْ قُلْتَ: اللَّهُ مَوْجُودٌ الْآنَ لَأَثْبَتَ الْعَقْلُ الدَّوَامَ إِذْ لَا يُنْبِئُ عَنِ التَّجَدُّدِ، وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: وُجِدَ اللَّهُ الْآنَ لَكَادَ يُنْكِرُهُ الْعَاقِلُ لِمَا بَيَّنَّا فَلَمَّا قَالُوا: سَلَامًا قَالَ: سَلَامُ عَلَيْكُمْ مُسْتَمِرٌّ دَائِمٌ.(١)

وقال النسفي:(فَقَالُوا سَلَامًا) مصدر سادٌّ مسد الفعل مستغنى به عنه، وأصله نسلم عليكم سلاماً (قَالَ سَلَامٌ) أي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف، والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذاً بأدب الله، وهذا أيضاً من إكرامه لهم.(٢)

ومن هذه المواضع ــ أيضا ــ التي بدا فيها تأثر ابن عاشور بما عليه جمهور المفسرين في توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ)(٣) وقوله ــ تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ)(٤) حيث تكرر قوله ــ تعالى ــ(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) مع اختلاف بعض ألفاظها.

فيذكر ابن عاشور مناسبة لفظية بقوله: وأما عطف جملة (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) بالفاء وعطف جملة (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) بالواو؛ فلأن الجملة الأولى وقعت بدَلاً من جملة (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)(٥) فقرنت بالفاء التي دخلت نظيرتُها على الجملة المبدَل منها، وأما هذه الجملة الثانية فخليّة عن ذلك فعطفت بالحرف الأصلي للعطف.(٦)

---

(١) مفاتيح الغيب١٧٥/٢٨
(٢) مدارك التنزيل٣٧٦/٣
(٣) سورة الحج،آية:٤٥
(٤) سورة الحج،آية:٤٨
(٥) سورة الحج،آية:٤٤
(٦) التحرير والتنوير٢٩٣/١٧

فهو يرى أن جملة (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) عطفت بالفاء لتتوافق مع المبدل منها المتلبس بالفاء، وهو قوله ــ تعالى ــ (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)، أما جملة (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا) المعطوفة بالواو؛ فلأنها عطفت على جملة خلت من الفاء، وإنما عطفت على جملة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ)[١] أو على جملة (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)[٢] المقترنتان بالواو.

ثم يشير إلى المناسبة المعنوية بقوله: إن قوله ــ تعالى ــ(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) عطفت على جملة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) أو على جملة (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) باعتبار ما تضمنه استعجالهم بالعذاب من التعريض بأنهم آيسون منه لتأخّر وقوعه، فذُكّروا بأن أمماً كثيرة أمهلت ثمّ حلّ بها العذاب، فوزان هذه الآية وزان قوله آنفاً: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) الخ؛ إلا أن الأولى قصد منها كثرة الأمم التي أهلكت لئلا يتوهّم من ذكر قوم نوح ومَن عطف عليهم أن الهلاك لم يتجاوزهم ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإهلاك دون الإمهال. وهذه الآية القصد منها التذكير بأنّ تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله، ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإمهال ثم الأخذِ بعده المناسب للإملاء من حيث إنه دخول في القَبْضَة بعد بعده عنها.[٣]

فالآية الأولى وهى قوله ــ تعالى ــ (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أريد منها بيان كثرة الأمم التي أهلكها الله ــ تعالى ــ ممن كذبوا رسلهم، ولذا جاء فيها ذكر الإهلاك دون الإمهال (أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ)، أما الآية الثانية، وهى قوله ــ تعالى ــ(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) فقد قصد منها بيان أن إمهال الله لهم وتأخير الوعيد لا يقتضى عدم وقوعه؛ ولذا جاء فيها ذكر الإمهال ثم الأخذ.

---

(١) سورة الحج،آية:٤٧

(٢) سورة الحج،آية:٤٧

(٣) التحرير والتنوير١٧/٢٩٢ــ٢٩٣

وفي الحقيقة أن ابن عاشور تأثر في رأيه هذا بما عليه جمهور المفسرين، حيث إنهم ذكروا أن الآية الأولى عطفت بالفاء، والثانية بالواو لأن الأولى بدل من قوله ــ تعالى ــ(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) والثانية في حكم ما تقدما من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما(وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) وذلك لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة.(١)

ومن تأثره بما عليه أكثر المفسرين ما أورده عما جاء في سورة الرحمن من تكرر قوله ــ تعالى ــ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)(٢) إحدى وثلاثين مرة.

فقد ذكر ابن عاشور أن فائدة هذا التكرير توكيد التقرير بما لله ــ تعالى ــ من نعم على المخاطبين وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم بالله أصناما لا نعمة لها على أحد، وكلها دلائل على تفرده ــ سبحانه ــ بالإلهية.(٣) وهذا المعنى أشار إليه غير واحد من المفسرين.(٤)

وفي سورة الانفطار جاء قوله ــ تعالى ــ(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)(٥) وفي سورة التكوير قوله ــ تعالى ــ(وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)(٦) وفي الانشقاق قوله ــ تعالى ــ(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)(٧) فاختلفت فواصل الآيات.

---

(١) الكشاف للزمخشرى٣/١٦٣ ، مفاتيح الغيب للرازى٢٣/٢٣٤ أنوار التنزيل للبيضاوى٤/٧٤، مدارك التنزيل للنسفى٢/٤٤٦.

(٢) سورة الرحمن، آية:١٣...،٧٧

(٣) التحرير والتنوير٢٧/٢٤٦

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية٥/٢٢٦، مفاتيح الغيب للرازى٢٩/٣٤٧، لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤١٥ هـ.

(٥) سورة الانفطار،آية:١

(٦) سورة التكوير،آية:١١

(٧) سورة الانشقاق،آية:١

فيذكر ابن عاشور أن الانفطار معناه انفراج يتسع في السماء، والظاهر أن هذا الانفطار هو المعبر عنه بالانشقاق في سورة الانشقاق، وهو حدث يكون قبل البعث وأنه من أشراط الساعة لأنه يحصل عند إفساد النظام الذى أقام عليه حركات الكواكب وحركة الأرض، وذلك يقتضيه قرنه بانتشار الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور. وأما الكشط الذى في سورة التكوير فذلك عرض آخر يعرض للسماوات يوم الحشر، فَهُوَ من قبيل قَوْله ــ تَعَالَى ــ (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا)[١] وهذه المعاني أجمع عليها المفسرون، وإن كان ذكرهم لها بصيغة مختصرة.[٢]

(١) سورة الفرقان،آية:٢٥، وينظر التحرير والتنوير ١٧١/٣٠

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية٤٤٦/٥،مفاتيح الغيب للرازى٧٢/٣١، أنوار التنزيل للبيضاوى ٢٩٢/٥ إرشاد العقل السليم لأبى السعود١٢٠/٩

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالزمخشري في توجيه المتشابه اللفظي:

يعد الإمام الزمخشري من علماء التفسير المبرزين، الذين عنوا بالكشف عن أسرار القرآن الكريم البلاغية، وإظهار إعجازه اللغوي والبياني، وكان من بين ما اهتم به الزمخشرى في تفسيره لكتاب الله ــ تعالى ــ تأويل وتوجيه متشابهه اللفظي. وكان ابن عاشور واحدا من علماء التفسير الذين أفادوا مما ذكره الزمخشري.

ومن المواضع التي استفادها ابن عاشور مما ذكره الإمام الزمخشري عند دراسة متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الأنعام (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[١] حيث ذكر حرف الفاء في (فَسَوْفَ) بينما حذف في آية سورة هود(وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ).[٢]

فيرى الزمخشري أن الذكر والحذف أمر جائز في العربية، وهو من باب التفنن، لكن الحذف أبلغ ليكون جوابا عن سؤال مقدر، وهو أكمل في باب الفصاحة، حيث يقول: (فإن قلت): أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في " سَوْفَ تَعْلَمُونَ " ؟ (قلت): إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت ؟ فقال: سوف تعلمون، يوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، كما هو عادة البلغاء من العرب. وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.[٣]

---

(١) سورة الأنعام،آية:١٣٥

(٢) سورة هود،آية:٩٣

(٣) الكشاف٢/٤٢٤

وقد وافقه ابن عاشور في قوله وزاد عليه موضحا أن في خطاب شعيب ــ عليه السلام لقومه من الشدة ما ليس في الخطاب الذى أمر به نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ في سورة الأنعام جريا على ما أرسل به من اللين لهم(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)،[١] وكذلك التفاوت بين معمولى (تعملون) فهو هنا غليظ شديد(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ) وهو هنالك لين (مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ). [٢]

ومن المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بما ذكره الزمخشري، عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة المؤمنون(وقَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)[٣] حيث قُدِّم (نَحْنُ وَآبَاؤُنَا) على اسم الإشارة بينما جاء في سورة النمل تقديم اسم الإشارة هذا على جملة (نحن وآباؤنا) قال ــ تعالى ــ(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ).[٤]

فيرى ابن عاشور أن الغرض من التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، وذلك بعد بيانه أن تقديم اسم الإشارة وتأخيره سواء في مثل هذا الموضع.

وفي هذا يقول ابن عاشور: وقد تقدم في سورة المؤمنين حكاية مثل هذه المقالة عن الذين كفروا، إلا أن اسم الإشارة الأول وقع مؤخراً عن نحن في سورة المؤمنين ووقع مقدماً عليه هنا وتقديمه وتأخيره سواء في أصل المعنى؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ (وعدنا) وقع بعد نائب الفاعل في الآيتين. وإنما يتجه أن يُسأل عن

---

(١) سورة آل عمران،آية:١٥٩

(١) التحرير والتنوير١٢/١٥٣

(٣) سورة المؤمنون،آية:٨٢ــ٨٣

(٤) سورة النمل،آية:٦٧ــ٦٨

تقديمه على توكيد الضمير الواقع نائباً على الفاعل. وقد ناطها في الكشاف بأن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وبسوق الكلام لأجله.(١)

فابن عاشور ينقل قول الإمام الزمخشري، ويرى ما يراه من أن تقديم الموعود على (نَحْنُ) للدلالة على أنه هو الذي تعمد بالكلام وهو المقصود الأهم حتى كأن ما سواه مطرح وإضافة له.

يقول الزمخشري: فإن قلت: قدّم في هذه الآية ــ آية سورة النمل ــ (هَذا) على(نَحْنُ وَءابَاؤُنَا) وفي آية أخرى ــ سورة المؤمنون ــ قدّم (نَحْنُ وَءابَاؤُنَا) على (هَذا) ؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد.(٢)

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالفخر الرازي في توجيه المتشابه:

من العلماء الذين أولوا موضوع المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم أهمية، وحاولوا كشف أسراره البلاغية الإمام الرازي صاحب مفاتيح الغيب، لذا فقد تأثر ابن عاشور بما ذكره الفخر الرازي.

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالفخر الرازي عند تأويل الأمر بتكرار الهبوط في قوله ــ تعالى ــ (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)(٣) وقوله(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا).(٤)

حيث يرى ابن عاشور أن الله ــ تعالى ــ كرر الأمر بالهبوط؛ لأن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمرهما الله ــ تعالى ــ بالهبوط، ولكنهما تابا بعد الأمر بالهبوط فلربما وقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة، لم يبق

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/٢٥
(٢) الكشاف٣/٣٨٠
(٣) سورة البقرة،آية:٣٦
(٤) سورة البقرة،آية:٣٨

هناك أمر بالهبوط بعد التوبة، فأعاد الله ــ تعالى ــ الأمر بالهبوط بعد قبول توبتهما، ليعلما أن هذا أمر كائن لا محالة، تحقيقا لوعد الله ــ تعالى ــ بأنه جاعل في الأرض خليفة.

يقول ابن عاشور: فالوجه عندي على تقدير أن تكون إعادة(اهبطوا) الثاني...لحكاية أمر ثانٍ لآدم بالهبوط؛ كيلا يظن أن توبة الله عليه ورضاه عنه عند مبادرته بالتوبة عقب الأمر بالهبوط قد أوجبت العفو عنه من الهبوط من الجنة، فأعاد له الأمر بالهبوط بعد قبول توبته ليعلم أن ذلك كائن لا محالة؛ لأنه مراد الله ــ تعالى ــ، وطور من الأطوار التي أرادها الله ــ تعالى ــ من جعله خليفة في الأرض وهو ما أخبر به الملائكة.(١)

ومن قبله قال الرازي بهذا القول، فبعد أن ذكر بعض أقوال علماء التفسير في هذه المسألة وقام بترجيح هذا القول من بين الأقوال التي ذكرها، وعبر عنه بأنه أقوى الآراء:... فأعاد الله ــ تعالى ــ الأمر بالهبوط مرة ثانية ليعلما أن الأمر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها، بل الأمر بالهبوط باقٍ بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم في قوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).(٢)

ومن تأثره بالفخر الرازي عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ).(٣) وقوله ــ تعالى ــ (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)(٤) حيث إن الله ــ تعالى ــ

(١) التحرير والتنوير ٤٤١/١

(٢) سورة البقرة،آية:٣٠ ، مفاتيح الغيب٤٧١/٣

(٣) سورة البقرة،آية:٤٨

(٤) سورة البقرة،آية: ١٢٣

قدم في الآية الأولى قبول الشفاعة على أخذ الفدية، وقدم في الآية الثانية قبول الفدية على ذكر الشفاعة.

حيث قال ابن عاشور:....وأما نفي القبول مرة عن الشفاعة ومرة عن العدل؛ فلأن أحوال الأقوام في طلب الفكاك عن الجناة تختلف فمرة يقدمون الفداء فإذا لم يقبلوا قدموا الشفعاء، ومرة يقدمون الشفعاء فإن لم تقبل شفاعتهم عرضوا الفداء.(١)

وبهذا يكون ابن عاشور أشار إلى معنى قريب مما ذكره الفخر الرازى، حيث ذكر أن تقديم الشفاعة مرة وتقديم الفدية مرة أخرى يرجع إلى اختلاف ما يناسب ميل كل أحد، فمن كان ميله إلى حب المال فإنه يفتدى بالشفعاء، وهذا ناسبه تقديم(وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) ومن كان ميله إلى علو النفس أكثر فإنه يقدم الافتداء بالمال، وهذا من ناسبه تقديم (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) فجاءت الآيتان بنفي قبول الافتداء بالشفعاء وبالمال، لبيان أنه يوم لا ينفع فيه المال ولا الشفعاء إلا من أذن لهم الرحمن.

وفي هذا يقوا الرازي ــ رحمه الله ــ:" أن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين.(٢)

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالإمام الرازي عند مقارنته بين لفظة(أنصح) في قصة نوح، و(ناصح) في قصة هود، حيث جاء في قصة نوح ــ عليه السلام ــ قوله ــ تعالى ــ (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ

(١) التحرير والتنوير ٦٩٨/١
(٢) مفاتيح الغيب٤٩٤/٣

مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[١] بينما جاء في قصة هود ــ عليه السلام ــ قوله ــ تعالى ــ (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ).[٢]

ففي قصة نوح جاء التعبير فيها بالفعل المضارع (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) وفي قصة هود جاء التعبير فيها باسم الفاعل " وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ".

فقد ذهب ابن عاشور في توجيهه لما جاء في الآيتين بأن الحق ــ سبحانه ــ جاء في قصة نوح (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) بالفعل المضارع؛ لأن نوحا قال ما يدل على أنه غير مقلع عن النصح، لذا فقد جاء مع نوح بالفعل الذى يدل على التجدد؛ لأن نوحا ــ عليه السلام ــ كان يلح على قومه ليلا ونهارا وسرا وإعلانا.

وقال مع هود (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) ذكر معه ما يدل على أن نصحه لهم وصف ثابت فيه متمكن، فقد جاء مع هود بالاسم (ناصح) المفيد للثبوت، وهو ما يناسب حال هود ــ عليه السلام ــ لأنه لم يلح على قومه في دعوته كما كان يفعل نوح ــ عليه السلام ــ، ولم يتجدد نصحه مثل تجدده في الذى كان يفعله نوح ــ عليه السلام ــ.[٣]

وهذا ــ أيضا ــ ما ارتآه الإمام الرازي في مفاتيح الغيب حيث قال: فنوح ــ عليه السلام ــ قال: (أَنصَحَ لَكُمْ) وهو صيغة الفعل، وهود ــ عليه السلام ــ قال: (وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ) وهو صيغة اسم الفاعل. والفرق بين الصورتين.... أن صيغة الفعل تدل على التجدد ساعة فساعة، وأما صيغة اسم الفاعل فإنها دالة على الثبات والاستمرار على ذلك الفعل. وإذا ثبت هذا فنقول: إن القوم كانوا يبالغون في السفاهة على نوح ــ عليه السلام ــ، ثم إنه في اليوم الثاني كان يعود إليهم ويدعوهم إلى الله، وقد ذكر الله ــ تعالى ــ عنه ذلك فقال:(رَبِّ إِنِّى

---

(١) سورة الأعراف،آية:٦٢

(٢) سورة الأعراف،آية:٦٨

(٣) ينظر التحرير والتنوير٨/٢٠٣

دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً)[١] فلما كان من عادة نوح ــ عليه السلام ــ العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل، فقال:(وَأَنصَحُ لَكُمْ) وأما هود ــ عليه السلام ــ فقوله: (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ) يدل على كونه مثبتاً في تلك النصيحة مستقراً فيها. أما ليس فيها إعلام بأنه سيعود إلى ذكرها حالاً فحالاً ويوماً فيوماً.[٢]

وعند تأويل متشابه قوله ــ تعالى ــ (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)[٣] حيث تكرر قوله(إن ربك).

فيرى ابن عاشور أن قوله ــ تعالى ــ(إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) توكيد لفظي لقوله(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ) لزيادة الاهتمام بالخبر على الاهتمام الحاصل بحرف التوكيد ولام الابتداء وليتصل خبر إن باسمها لبعد ما بينهما،[٤]وهذا ما ذكره الرازي في تفسيره مختصرا، حيث قال: ثم أعاد قوله: (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) على سبيل التأكيد.[٥]

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأبي حيان في توجيه المتشابه اللفظي:

كان للإمام أبي حيان الأندلسى ــ رحمه الله ــ اهتمام خاص ببيان النواحي البلاغية في الآية التي يقوم بتفسيرها، فنجده يبين أوجه البلاغة فيها غاية البيان، ومن كان له اهتمام بالنواحى البلاغية فلن يغفل جانب تأويل الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ، فجاء تفسر أبى حيان مهتما بهذا الجانب، وكان لابن عاشور تأثر به في هذا الأمر.

---

(١) سورة نوح،آية:٥
(٢) مفاتيح الغيب،١٤/٣٠٠
(٣) سورة النحل،آية:١١٩
(٤) التحرير والتنوير١٤/٣١٤
(٥) مفاتيح الغيب٢٠/٢٨٣

ومن مواضع المتشابه اللفظي التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بأبى حيان، وجاء رأيه موافقا لما ذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ من سورة الأنفال(وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[١] حيث فك الإدغام في لفظ (يشاقق) بينما جاء في سورة الحشر مدغما(وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).[٢]

فقد ذهب ابن عاشور إلى أن الإدغام وعدمه جائزان في العربية، حيث يقول: وأدغم القافان في (وَمَنْ يُشَاقِّ)؛ لأن الإدغام والإظهار في مثله جائزان في العربية، وقرئ بهما في قوله تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ)[٣] في سورة البقرة. والفكّ لغة الحجاز، والإدغام لغة بقية العرب.[٤]

وهذا الرأي الذى ذكره ابن عاشور ــ رحمه الله ــ سبقه إليه أبو حيان في البحر حيث يقول:(أجمعوا على الفك في يشاقق اتباعا لخط المصحف وهى لغة الحجاز، والإدغام لغة تميم كما جاء في الآية الأخرى (ومن يشاقق..).[٥] وهذا التوجيه الذى ذكراه راعيا فيه الناحية اللفظية.

(لكن من يتأمل سياق الآيتين ويربط ذلك بسبب النزول يستطيع أن يلحظ فرقا معنويا وهو أن آية الأنفال صورت المواجهة الأولى في تاريخ الإسلام بين المسلمين والمشركين، وجاء فيها أنه ــ سبحانه ــ أمد المؤمنين بالملائكة (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ...

---

(١) سورة الأنفال،آية:١٣

(٢) سورة الحشر،آية:٤

(٣) سورة البقرة،آية:٢١٧

(٤) التحرير والتنوير٢٨/٧٥

(٥) البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ٥/٢٨٨ تحقيق صدقي محمد جميل ــ نشر: دار الفكر ــ بيروت ــ طبعة: ١٤٢٠ هـ.

الآيات)[١] وأنه ــ سبحانه ــ أمر الملائكة بضرب أعناق المشركين، وضرب كل بنان، ثم علل ذلك بالمشاقة، فناسب الآية فك الإدغام الدال على وفرة هذه المسألة، أما آية الحشر فهى في بنى النضير من يهود المدينة، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين، ثم كتب الله عليهم الجلاء وهؤلاء لم تكن مشاقتهم كمشاقة أهل مكة سواء في العداء أو العدة أيضا، ولذلك ناسب الآية الإدغام)[٢]

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالبيضاوي في توجيه المتشابه اللفظي:

كان الإمام البيضاوي من بين علماء التفسير الذين تأثر بهم ابن عاشور في تأويل وتوجيه بعض الآيات المتشابهة، فكان يوافق قوله قول البيضاوي حينا، وينقل قوله حينا آخر.

ومن ذلك عند تأويل قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).[٣]

وقوله ــ تعالى ــ أيضا ــ في سورة البقرة ــ (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٤] حيث تكرر قوله ــ تعالى ــ(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ).

فيرى ابن عاشور في توجيهه لتكرار قوله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا..) أن هذه الآية جاءت لتبين أن اليهود المعاصرين للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ سلكوا طريقة أسلافهم الذين

---

(١) سورة الأنفال،آية:٩

(٢) المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم وأسراره البلاغية لـــ د/صالح عبد الله الشثرى ص١٥٣رسالة دكتوراه ــ جامعة أم القرى ــ سنة ١٤٢١ه ــ٢٠٠١م.

(٣) سورة البقرة،آية:٦٣

(٤) سورة البقرة،آية:٩٣

تقدموهم في زمن موسى ــ عليه السلام ــ في العناد وعدم الإيمان، فالآيات من باب الانتقال بهم في المحاجة من غرض إلى غرض آخر، فاليهود المعاصرون للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانوا إذا عرض عليهم الإيمان بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما أنزل عليه من القرآن ادعوا أنهم يؤمنون بالتوراة التي أنزلها الله ــ تعالى ــ على موسى ويجحدون غيرها وهو القرآن الكريم، فأمر الله ــ تعالى ــ رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكذبهم في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم فقال: (قل فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ الله مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)[1] ثم كذبهم القرآن مرة أخرى (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)،(٢) ثم كذبهم القرآن الكريم ــ في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ــ بصورة أخرى فقال ــ تعالى ــ(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

وفي هذا يقول ابن عاشور:(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) عطف على قوله(فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ) والقصد منه تعليم الانتقال في المجادلة معهم إلى ما يزيد إبطال دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم خاصة وذلك أنه بعد أن أكذبهم في ذلك بقوله (فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ) كما بينا ترقى إلى ذكر أحوالهم في مقابلتهم دعوة موسى الذي يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بما جاءهم به، فإنهم مع ذلك قد قابلوا دعوته بالعصيان قولا وفعلا، فإذا كانوا أعرضوا عن الدعوة المحمدية بمعذرة أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فلماذا قابلوا دعوة أنبيائهم بعد موسى بالقتل ولماذا

---

(١) سورة البقرة،آية: ٩١

(٢) سورة البقرة،آية:٩٢

قابلوا دعوة موسى بما قابلوا. فهذا وجه ذكر هذه الآيات هنا وإن كان قد تقدم نظائرها فيما مضى فإن ذكرها هنا في محاجة أخرى وغرض جديد.(١)

ثم يذكر قول البيضاوي: إن تكرير القصة للتنبيه على أن طريقتهم مع محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ طريقة أسلافهم مع موسى وهي نكتة في الدرجة الأولى وهذا إلزام لهم بعمل أسلافهم بناءً على أن الفرع يَتْبَع أصله والولد نسخة من أبيه، وهو احتجاج خطابي.(٢)

ومن ذلك ــ أيضا ــ عند توجيه متشابه قوله تعالى(لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا)(٣) وقوله ــ تعالى (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا)(٤) فقد تكررت الآية الثانية واختلفت فاصلتها.

فيرى ابن عاشور أن إعادة الآية الثانية لغرض الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رتب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا.

والمذموم المذكور بالسوء والعيب، والمخذول الذى أسلمه ناصره. والملوم الذى ينكر عليه فعله، والدحور المطرود من جانب الله ومن رحمته.(٥)

وهو قد تأثر في رأيه هذا بالبيضاوي حيث رأي أن هذه التكرار للتأكيد والاهتمام بأمر التوحيد. حيث قال: (وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ) كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ورتب عليه أولاً ما هو

---

(١) التحرير والتنوير ٦٠٩/١
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى ٦٠٩/١
(٣) سورة الإسراء،آية:٢٢
(٤) سورة الإسراء،آية: ٣٩
(٥) التحرير والتنوير ١٠٦/١٥

عائده الشرك في الدنيا وثانياً ما هو نتيجته في العقبى فقال ــ تعالى ــ(فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً) تلوم نفسك. مَدْحُوراً مبعدًا من رحمة الله ــ تعالى ــ.(١)

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأبي السعود في توجيه المتشابه اللفظي:

اهتم الإمام أبو السعود صاحب إرشاد العقل السليم بالكشف عن أغراض القرآن البلاغية وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، ومن كان له اهتمام بهذه النواحي لا بد أن يتعرض لتوجيه المتشابه اللفظي؛ لأن هذا جانب عظيم من جوانب بلاغة وإعجاز القرآن الكريم ، ومن ثم فإن ابن عاشور ــ رحمه الله ــ تأثر بالإمام أبى السعود في النواحي السابقة ومن أهمها في توجيه المتشابه اللفظى للقرآن.

ويظهر لنا تأثره به عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في قصة نوح عليه السلام قال الله تعالى في سورة الأعراف (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).(٢) وفي قصة هود عليه السلام في سورة الأعراف أيضا على لسان هود عليه السلام (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ).(٣) فقد جاء فعل القول في آية قصة نوح ــ عليه السلام ــ بالفاء (فَقَالَ يَا قَوْمِ) بينما جاء في قصة هود عليه السلام بغير فاء (قَالَ يَا قَوْمِ).

وفي ذلك يرى ابن عاشور أن قوله ــ تعالى ــ (قَالَ يَا قَوْمِ) فصلت ولم تعطف بالفاء كما في نظيرها المتقدم في قصة نوح؛ لأنّ الحال اقتضى هنا أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنّ قصّة هود لما وردت عقب قصّة نوح المذكور فيها دعوتُه قومه صار السّامع مترقباً معرفة ما خاطب به هود قومه حيث بعثه

---

(١) أنوار التنزيل٣/٢٥٦

(٢) سورة الأعراف،آية:٥٩

(٣) سورة الأعراف،آية:٦٥

الله إليهم، فكان ذلك مثار سؤال في نفس السّامع أن يقول: فماذا دَعا هُودٌ قومه وبماذا أجابوا ؟ فيقع الجواب بأنّه قال: يا قوم اعبدوا الله إلخ.(١)

فابن عاشور يرى أن قصة هود جاءت عقب قصة نوح، مما استدعى أن يكون السامع مترقبا ومتشوقا لمعرفة ما خاطب به هود قومه مما أدى إلى الاختصار.

وما ذكره ابن عاشور هنا هو ما ذكره أبو السعود في تفسيره، حيث قال: قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله ــ عليه السلام ــ إليهم كأنه فماذا قال لهم، فقيل قال (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ).(٢) إلا أن أبا السعود ذكر هذا مختصرا مقتصرا على بيان الوجه الإعرابي للجملة. وهذا يؤكد لنا مدى تأثر ابن عاشور بأبى السعود في توجيه بعض مواضع المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم.

وعند تأويل متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الفرقان (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا)(٣) مع ما جاء في سورة مريم في قوله ــ تعالى ــ(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا)(٤) وفي يس (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ)(٥) حيث أضمر لفظ الجلالة "الله" في سورة الفرقان وأظهره في مريم ويس.

فيرى ابن عاشور أن الإضمار في سورة الفرقان (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ)؛ لأنه تقدم ذكر انفراده بالإلهية صريحا من

---

(١) التحرير والتنوير٨/٢٠١
(٢) إرشاد العقل السليم٣/٢٣٧
(٣) سورة الفرقان،آية:٣
(٤) سورة مريم،آية:٨١
(٥) سورة يس،آية:٧٤

قوله(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا).[١]

وهذا الذى ذكره ابن عاشور، وهو أن مجيء قوله(مِنْ دُونِهِ) بصيغة الضمير، ولم يصرح بذكر اسم الجلالة؛ لأنه جاء مصرحا بذكره ــ تعالى ــ في الآية السابقة مع اختصاصه بالإلهية وتفرده بالملك ــ سبحانه ــ مما أغنى عن ذلك بذكره بصيغة الإضمار،[٢] هو ما حكاه أبو السعود في تفسيره حيث قال: والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم، أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله ــ تعالى ــ الذي ذكر بعض شئونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والأرض به ــ تعالى ــ وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير.[٣]

ومما سبق يفهم أن ما جاء في آية مريم ويس بالإظهار؛ لأنه لم يتقدمهما اسم ظاهر حتى يقع الإضمار بعدهما.

ومن يتأمل آيات القرآن الكريم في مواضع مشابهة لهذا الموضع، يجد أن أربعة مواضع جاءت بالإظهار، وهى: قوله ــ تعالى ــ في سورة العنكبوت(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ)[٤] وفي الزمر(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ)[٥] وفي الجاثية(وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ)[٦] وفي الأحقاف(فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً).[٧]

---

(١) سورة الفرقان،آية:٢
(٢) ينظر التحرير والتنوير١٨/٣١٩
(٣) إرشاد العقل السليم٦/٢٠٢
(٤) سورة العنكبوت،آية:٤١
(٥) سورة الزمر،آية:٤٣
(٦) سورة الجاثية،آية:١٠
(٧) سورة الأحقاف،آية:٢٨

وجاءت أربعة مواضع أخرى بالإضمار وهى: في الأنبياء قوله ـ تعالى ـ(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً)[١] وفي الزمر(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا)[٢] وفي الشورى(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ)[٣] وقوله(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)[٤] وقد جاءت هذه الآيات موافقة لما ذكره أبو السعود وابن عاشور من توجيههما لآية مريم ويس مع آية الفرقان.

(١) سورة الأنبياء،آية:٢٤
(٢) سورة الزمر،آية:٣
(٣) سورة الشورى،آية:٦
(٤) سورة الشورى،آية:٩

المبحث الثالث

التجديد في دراسة المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم

عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور.

كان الحديث فيما سبق عن تأثر ابن عاشور ــ رحمه الله ــ بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي للقرآن الكريم، وعن تأثره بعلماء التفسير الذين قاموا بتوجيه المتشابه اللفظي للقرآن الكريم، فكان من الواجب هنا تبيين أن ابن عاشور ــ رحمه الله ــ لم يكن دائما متأثرا ومقلدا للعلماء السابقين في هذا المجال، وإنما كان له اسهاماته وإضافاته في هذا الميدان.

وسيكون الحديث في هذا المبحث، عن المواضع التي قام العلماء السابقون ببحثها وقام ابن عاشور ــ أيضا ــ ببحثها ولكن أضاف إليها وجها جديدا لم يسبقه إليه أحد من العلماء.

وعن مواضع جديدة تعرض لها ابن عاشور وقام بوضع توجيه لها ولم يتعرض لها أحد من العلماء السابقين سواء من أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي، أو علماء التفسير الذين كان لهم اهتمام بهذا الجانب.

أولا: الآراء الجديدة التي ذكرها الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مواضع التشابه اللفظي التي بحثها العلماء السابقون.

من هذه المواضع التي تعرض ابن عاشور لدراستها، وقدم لها توجيها جديدا، يختلف عما ذكره العلماء السابقون، عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة البقرة (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)[١] حيث حذف لفظ التأكيد (كله)، بينما ذكر في آية الأنفال في قوله ــ تعالى ــ(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ).[٢]

---

(١) سورة البقرة،آية:١٩٣

(٢) سورة الأنفال،آية:٣٩

فيرى الخطيب الإسكافي أن القتال في الآية الأولى مع أهل مكة فحسب، فنزلت في قوم مخصوصين، فلا حاجة للتأكيد، وفي الأنفال نزلت في جميع الكفار، فجاءت الآية بالعموم، وهذا يقتضى تأكيد الدين بقوله:(كله).

حيث يقول: إن الآية الأولى من سورة البقرة جاءت في قتال أهل مكة، ألا ترى ما قبلها: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ..)،[١] ثم قال: (..وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ..)[٢] وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك، وهم نازلو الحرم، فاقتصر على الدين من غير توكيد على معنى: حتى يكون الدين حيث هؤلاء، ولا في كل مكان.....وأما في سورة الأنفال فالأمر ورد عاما في قتال كل الكافرين، ألا ترى أن قبل الآية: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ..)[٣] وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة.[٤]

وقد وافقه على هذا التوجيه الكرماني،[٥] وابن الزبير،[٦] والأنصاري،[٧] وأبو حيان،[٨] والألوسي.[٩]

وقد كان لابن جماعة توجيه قريب مما ذكره الخطيب الإسكافي، فقد ذكر أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة، وفيها لا زال صناديد قريش أحياء ولم يكن للمسلمين في ذلك الوقت رجاء في إسلامهم، أما آية الأنفال فنزلت بعد معركة

---

(١) سورة البقرة،آية:١٩١
(٢) سورة البقرة،آية:١٩١
(٣) سورة الأنفال،آية:٣٨
(٤) درة التنزيل وغرة التأويل١/٣٣٢
(٥) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص٨٤
(٦) ملاك التأويل ص٦٣ــ٦٤
(٧) فتح الرحمن ص٥٥
(٨) البحر المحيط٢/٢٤٧
(٩) روح المعانى١/٤٧٢

بدر، وفيها قتل صناديد قريش، فكان للمسلمين رجاء في إسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد ــ سبحانه ــ رجاءهم ذلك، أي لا يعبد سواه.(١)

أما ابن عاشور فقد ذكر أن آية الأنفال أسبق في النزول من آية البقرة، فاحتيج فيها إلى تأكيد مفاد صيغة اختصاص جنس الدين بأنه لله ــ تعالى ــ، لئلا يتوهم الاقتناع بإسلام غالب المشركين فلما تقرر معنى العموم وصار نصاً من هذه الآية عُدل عن إعادته في آية البقرة تطلباً للإيجاز.(٢)

وقد اختلف توجيه ابن عاشور عن توجيهات العلماء السابقين ، وكل ما ذكر تعليلات حسنة مقبولة، ولكل اجتهاده الذى وفقه الله إليه.

ومن المواضع التي ذكر ابن عاشور في توجيهها معنى جديدا عند تعرضه لتوجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة الأنعام (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ..)(٣) حيث ورد تقديم اللعب على اللهو، بينما جاء في سورة العنكبوت قوله ــ تعالى ــ(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(٤) فجاء تقديم اللهو على اللعب.

وحين تحدث علماء المتشابه في توجيه هذين الموضعين، ذكر الخطيب الإسكافي أن اللعب يكون في زمن الصبا، أما اللهو فهو في زمن الشباب، وزمان الصبا متقدم على زمان الشباب، فالآيات التي قدم فيها اللعب على اللهو كان ذلك مراعاة لما هو أسبق.

---

(١) كشف المعانى١١٣ــ١١٤

(٢) التحرير والتنوير ٣٤٧/٩

(٣) سورة الأنعام،آية:٣٢

(٤) سورة العنكبوت،آية:٦٤

أما آية العنكبوت التي ورد فيها تقديم اللهو على اللعب؛ فذلك لأن زمان الشباب الذى يكون فيه اللهو أكثر من زمان الصبا الذى يكون فيه اللعب، فقدم الكثير على القليل.(١)

وقد وافقه على هذا المعنى الكرماني(٢) الذى اختصر ما ذكره الخطيب الإسكافي، كما وافقه أبو يحيى الأنصاري، حيث قال ــ رحمه الله: قوله تعالى: (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ..) الآية. قدَّم اللَّعب هنا وفي " القِتال " و " الحديد " وعكس في " الأعراف " و " العنكبوت " لأن اللَّعب زمنُ الصِّبا، واللَّهوُ زمنُ الشباب، وزمنُ الصبا مقدَّمٌ على زمنِ الشباب، فناسبَ إِعطاء المقدَّم للأكثر، والمؤخرّ للأقلّ.(٣)

ولما تعرض ابن عاشور لتوجيه متشابه هاتين الآيتين، رأي أن تقديم ذكر اللعب في الأنعام؛ لأن الآية (لم تشتمل على اسم إشارة يقصد منه تحقير الحياة الدنيا، فكان الابتداء بأنها لعب مشيرا إلى تحقيرها؛ لأن اللعب أعرق في قلة الجدوى من اللهو. ولما أشير في هذه الآية ــ آية سورة العنكبوت ــ إلى الحياة الآخرة في قوله (فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا)(٤) زاده تصريحا بأن الحياة الآخرة هي الحياة الحق...).(٥)

ومن هذه المواضع ــ أيضا ــ ما ذكره في توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة هود (...حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ)(٦) وقوله ــ تعالى ــ في سورة

(١) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل٢/٥١٦ــ٥٢٥
(٢) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص١٠٧
(٣) فتح الرحمن ص ١٦٤
(٤) سورة العنكبوت،آية:٦٣
(٥) التحرير والتنوير٢١/٣١
(٦) سورة هود،آية:٤٠

المؤمنون (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ)[١] حيث تكرر الأمر بصنع السفينة في سورتي هود والمؤمنون، ولكن جاء في سورة هود(احْمِلْ فِيهَا) وفي سورة المؤمنون (فَاسْلُكْ فِيهَا).

فحينما تعرض ابن عاشور لتوجيه هذا الموضع، وقدم له توجيها، نجد أن أكثر أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي لم يتعرضوا له، فلم يذكره الكرماني وابن جماعة وأبو يحيى الأنصاري من بين المسائل التي قاموا بتوجيهها، ومن قام بتوجيهه منهم، قال في تفسير هذا الموضع، إن سورة هود لما جاءت مفصلة لقصة نوح ــ عليه السلام ــ فقد جاء فيها (احْمِلْ فِيهَا) الذى يدل على معنى أوسع، وأما سورة المؤمنون لما جاءت قصة نوح فيها موجزة ناسبها قوله ــ تعالى ــ (فَاسْلُكْ فِيهَا) الذى يفيد معنى الادخال.[٢]

وحينما وجه المفسرون القدامى هذا التشابه اللفظي بين قوله ــ تعالى ــ في قصة نوح ــ عليه السلام ــ (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) وقوله(فَاسْلُكْ فِيهَا) اكتفوا بذكر معنى كل آية فقط فقالوا (احمل) تفيد مجرد الحمل، أما كلمة (اسلك) فمعناها أدخل فيها.[٣]

أما لو تأملنا فيما ذكره ابن عاشور في توجيه هذا الموضع لوجدناه يضيف معنى جديدا حيث يقول: وقد عبر في سورة هود بقوله (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) وفي سورة المؤمنون بقوله(فَاسْلُكْ فِيهَا) لأن آية سورة هود (احْمِلْ فِيهَا) حكت ما خاطبه الله به عند حدوث الطوفان وذلك وقت ضيق فأمر أن يحمل في السفينة من

---

(١) سورة المؤمنون،آية:٢٧

(٢) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل١/٩٣٨، ملاك التأويل ص٢٥٦ــ٢٥٧

(٣) ينظر تفسير الكشاف٣/١٨٤، مفاتيح الغيب للرازى١٧/٣٤٨ــ٢٣/٢٧٣، أنوار التنزيل للبيضاوى٣/١٣٥ــ٤/٨٦ ، مدارك التنزيل للنسفى٢/٤٦٥

أراد الله إبقاءهم، فأسند الحمل إلى نوح تمثيلا للإسراع بإركاب ما عين له في السفينة، حتى كأن حاله في إدخاله إياهم حال من يحمل شيئا ليضعه في موضع.

وآية سورة المؤمنون حكت ما خاطبه الله به من قبل حدوث الطوفان إنباء بما يفعله عند حدوث الطوفان فأمره بأنه حينئذ يدخل في السفينة من عين الله إدخالهم، مع ما في ذلك من التفنن في حكاية القصة.[١]

ويفهم من كلام ابن عاشور أن آية سورة هود(احْمِلْ فِيهَا) تفيد مجرد الحمل فقط عند حدوث الطوفان، أما آية سورة المؤمنون(فَاسْلُكْ فِيهَا) فتفيد الإدخال وتسكين كل شئ في موضعه المناسب له، حيث إن هذا الأمر كان قبل وقوع الطوفان وهو وقت فيه سعة يحتمل لذكر التفصيل، وقد دل على ذلك ما ذكره الشنقيطي[٢] أن هذه السفينة فيها بيوت يدخل فيها الراكبون.[٣]

وما ذكره ابن عاشور في توجيه هذا الموضع لم يتأثر فيه بأحد ممن سبقه، وإنما هو إضافة منه واجتهاد له، لم يسبقه إليه أحد.

وعندما تحدث علماء المتشابه في قوله ــ تعالى ــ في سورة يوسف (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[٤] فقد حذفت هنا جملة(وَاسْتَوَى) التي وردت في آية مشابهة في سورة القصص في قصة موسى

---

(١) التحرير والتنوير١٨/٤٦

(٢) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط ــ موريتانيا ــ ولد وتعلم بها ، ثم واستقر مدرسا في المدينة المنورة ، ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة . وتوفي بمكة. له كتب، منها :أضواء البيان في تفسير القرآن ، و دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب. وتوفى: ١٣٩٣هـ.الأعلام للزركلى٦/٤٥.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ١٨٢/٢نشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ــ لبنان ــ عام النشر : ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م.

(٤) سورة يوسف،آية:٢٢

ــ عليه السلام ــ في قوله ــ تعالى ــ(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).(١)

فعندما تحدث الخطيب الإسكافي عن سر زيادة (وَاسْتَوَى) في أمر موسى دون يوسف ــ عليهما السلام ــ ذكر أن يوسف ــ عليه السلام ــ نُبّه على ما يراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤيا الكواكب والوحى حين ألقى في الجب، وما ألهمه الله من علم التأويل.

أما موسى ــ عليه السلام ــ فلم يعلم المراد منه، ولا نبه عليه قبل بلوغ الأربعين وقبل مفارقة شعيب، فناسبه (وَاسْتَوَى) لا سيما على قول أكثر المفسرين أن الاستواء بلوغ الأربعين لأنها كمال العقل.

يقول الخطيب الإسكافي: والذى يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف ــ عليه السلام ــ الاستواء بعد بلوغ الأشد، هو أن يوسف ــ عليه السلام ــ أخبر الله ــ تعالى ــ أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته في الجب حيث قال: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)(٢) وأراه ــ عز وجل ــ الرؤيا التي قصها على أبيه، وموسى ــ عليه السلام ــ لم يفعل به شيء من ذلك إلى أن بلغ الأشد واستوى، لأنه لم يعلم ما أريد به إلا بعد أن استأجره شعيب ــ عليه السلام ــ، ومضت سنو إجازته وسار بأهله، فهناك آتاه ما آتاه من كرامة الله ــ تعالى ــ، وقيل: إنه بعد الأربعين، فلم ينتظر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحي ما انتظر به موسى.(٣)

---

(١) سورة القصص،آية:١٤

(٢) سورة يوسف،آية: ١٥

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل٢/٧٩٨

وقد وافقه على هذا التوجيه علماء المتشابه كالكرماني،[١] وابن الزبير،[٢] وابن جماعة[٣] وأبو يحيي الأنصاري.[٤] ولم أجد من تعرض لهذا الموضع من علماء التفسير.

بينما لابن عاشور رأي آخر غير ما ذكره علماء المتشابه، وهو رأي تبدو عليه مخائل الجودة. حيث قال: والحق أن الأشد كمال القوة؛ لأن أصله جمع شدة بكسر الشين بوزن نعمة وأنعم، وهي اسم هيئة بمعنى القوة ثم عومل معاملة المفرد. وأن الاستواء كمال البنية كقوله ــ تعالى ــ في وصف الزرع (فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ)،[٥] ولهذا أريد لموسى الوصف بالاستواء ولم يوصف يوسف إلا ببلوغ الأشد خاصة ؛ لأن موسى كان رجلاً طوالاً كما في الحديث (كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ)[٦] فكان كامل الأعضاء ولذلك كان وكزه القبطي قاضياً على الموكوز.[٧]

فابن عاشور يرى أن تخصيص موسى ــ عليه السلام ــ بوصف الأشد الذى هو كمال القوة لما تميز به موسى عن يوسف ــ عليهما السلام ــ بكمال البنية الجسمانية.

---

(١) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص١٤٨

(٢) ملاك التأويل ص٢٦٧

(٣) كشف المعانى ص٢١٥

(٤) فتح الرحمن ص٢٧٨

(٥) سورة الفتح،آية:٢٩

(٦) صحيح البخارى، كتاب: أحاديث الأنبياء، بابُ قَوْلِ اللَّهِ (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) حديث:٣٤٣٧ ص ٧٢٤نشر مكتبة الإيمان ــ المنصورة ــ مصر. شنوءة قبيلة معروفة، أي يشبه واحدا من هذه القبيلة ، والشنوءة بفتح الشين التباعد بين الأدناس لقب به حي من اليمن لطهارة نسبهم وحسن سيرتهم. فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي٤/٧ نشر: المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ طبعة أولى ١٣٥٦

(٧) التحرير والتنوير٢٠/٨٧

ومن المواضع التي أضاف ابن عاشور فيها معنى جديدا، ولم يتأثر فيه بالعلماء السابقين عند توجيهه لمتشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة القصص(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)[١] حيث جاء ترتيب الآية على وضعه الأصلي، فجاء الفاعل وهو(رجل) بعد فعله، بينما في سورة يس جاءت الآية بتقديم الجار والمجرور على الفاعل، يقول ــ تعالى ــ (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)[٢] ففصل هنا بين الفعل وفاعله بقوله(مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ).

وحينما قام الخطيب الإسكافي بتوجيه هذا المتشابه، رأي أن تقديم الجار والمجرور في يس يفيد تبكيت القوم، فالناصح جاء من أقصى مكان في المدينة، وهو لم يحضر ما يحضرون، أما تقديم الرجل في القصص فلأنه الأصل، ولم يكن فيه ما يدعو إلى التبكيت.

يقول الخطيب الإسكافي: الذى يفاد المخاطب أن يعلم أنه ــ أي الرجل ــ جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، فقدّم ما تبكيت القوم به أعظم، والتعجب منه أكثر، فقال: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشاهد من كلام الأنبياء ما يشاهدونه.....وأمّا الآية الأولى من سورة القصص فإن المراد جاء مَن لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه، فاعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدّم ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من

---

(١) سورة القصص،آية:٢٠

(٢) سورة يس،آية:٢٠

أقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة.[١] وقد وافقه ابن الزبير على ذلك الرأي.[٢]

أما الكرماني فذكر أن تقديم الفاعل في آية القصص وهو(رجل) لأنه تقدم قوله ــ تعالى ــ (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ)،[٣] وجاء في آية يس بتأخير الفاعل وهو (رجل) لأنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا.[٤]

وقد وافقه أبو يحيى الأنصاري[٥] على ذلك الرأي، ونقل كلامه. ولم أقف على توجيه لأحد من علماء التفسير في توجيه هذا المتشابه، وإنما كان قولهم منصبا على بيان العلة من تنكير (رجل) في الآية.

أما ابن عاشور فذكر أن الرجل الذى ورد ذكره في سورة القصص، كان ناصحا، فجاء الترتيب على الأصل، أما في يس فالرجل جاء يدعو إلى الإيمان، وفي هذا اهتمام وثناء على أقصى المدينة، وأن الإيمان ظهر في أطراف المدينة قبل ظهوره في وسطها؛ لأن قلب المدينة هو مسكن الحكام والمترفين وهم أبعد عن سبق الإيمان، بينما أطراف المدينة مسكن الضعفاء والفقراء وهم أتباع الأنبياء غالبا، ففيه إشارة إلى أنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط.

حيث قال ابن عاشور: وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد من الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليهم الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل١٠٨٤،١٠٨٣

(٢) ملاك التأويل ص٣٨٣

(٣) سورة القصص،آية:١٥

(٤) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص١٩٤

(٥) فتح الرحمن ص٤٢٩

بأسهم بخلاف أطراف سكان المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراث بالآخرين ؛ لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو.(١)

وبهذا يظهر وجه تقديم (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، ولإفادة أنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة.

ومن هذه المواضع ما جاء في سورة الكهف، حيث جاء الضمير مرة مفردا ومرة مجموعا مع فعل واحد وهو(أراد) والآيات الثلاث في قصة واحدة، وهى قصة الخضر مع موسى ــ عليهما السلام ــ، ففي قصة خرق السفينة جاء الضمير مفردا مسندا إلى الخضر ــ عليه السلام ــ (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)،(٢) ، وفي قصة قتل الغلام جاء الفعل مضافا إلى ناء الفاعلين(فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ)،(٣) وفي قصة إصلاح الجدار جاء الفعل مسندا إلى الله ــ عز وجل ــ(فَأَرَادَ رَبُّكَ).(٤)

فيرى الكرماني: أن الظاهر في الآية الأولى إفساد، فأسنده إلى نفسه، والثانى إفساد من حيث القتل، وإنعام من حيث التبديل، فأسنده إلى نفسه وإلى الله ــ سبحانه ــ، والثالث إنعام محض فأسنده إلى الله ــ عز وجل ــ. ثم قام بذكر توجيه آخر لضمير الجمع في قوله(فَأَرَدْنَا) وهو أن القتل كان من الخضر، وإزهاق الروح كان من أمر الله.(٥)

---

(١) التحرير والتنوير٢٢/٣٦٥

(٢) سورة الكهف،آية:٧٩

(٣) سورة الكهف،آية:٨١

(٤) سورة الكهف،آية:٨٢

(٥) البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص١٧٠

وقد وافقه ابن جماعة على هذا التوجيه، وزاد بأن هذا حسن أدب من الخضر مع الله ــ تعالى ــ.(١)

كما وافقهما أبو يحيى الأنصاري ونقل كلام الكرماني، ثم ذكر توجيها آخر للجمع، ويرى أنه الأولى: وهو أنه لما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع، تنبيها على أنه من العِظَام في علوم الحكمة، فلم يقدم على القتل إلا لحكمة عالية.(٢)

إذا فأكثر العلماء والمفسرين على أنه في أمر الإفساد المحض نسب فعل الإرادة إلى الخضر بصيغة المفرد (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)، وفي أمر الإصلاح المحض نسبت الإرادة إلى الله ــ تعالى ــ (فَأَرَادَ رَبُّكَ)، وأما أمر القتل لما كان فيه إفساد في ظاهره وإنعام من حيث التبديل، فأسنده إلى نفسه وإلى الله ــ سبحانه.

أما ابن عاشور، فقد كان له توجيه آخر يفهم من خلال حديثه عن سر مجئ جملة (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) بين قوله(فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ)(٣) وبين قوله(وكان وراءهم ملك)(٤) حيث يرى أن قوله ــ تعالى ــ (فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا) جاءت نسبة الإرادة فيه إلى الخضر، ليبين أن أمر إعابة السفينة وقع عن قصد وتعمد، لبيان الاهتمام بأمر قصد إعابة السفينة.

حيث يقول: (فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا) متفرعة على كل من جملتي (فَكَانت لِمَساكِينَ)، و(وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ)، فكان حقها التأخير عن كلتا الجملتين بحسب الظاهر، ولكنها قدمت خلافاً لمقتضى الظاهر؛ لقصد الاهتمام والعناية بإرادة إعابة السفينة حيث كان عملاً ظاهره الإنكار وحقيقته الصلاح زيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله، لأن كون السفينة لمساكين مما يزيد السامع تعجباً في الإقدام على خرقها. والمعنى: فأردت أن أعيبها وقد فعلت.(٥)

---

(١) كشف المعانى ص٢٤٣
(٢) فتح الرحمن ص٣٤٧
(٣) سورة الكهف،آية:٧٩
(٤) سورة الكهف،آية:٧٩
(٥) التحرير والتنوير١٢/١٦

أما ما جاء في قصة القتل فيرى ابن عاشور أن ضمير الجماعة في قوله (فَأَرَدْنَا) عائد إلى المتكلم الواحد من باب التواضع؛ على أن غيره مشارك له في الفعل؛ لأن الأمر فيه إزهاق روح وهو في الظاهر من كبائر الذنوب، فناسبه أن يعلم بأن الله ــ تعالى ــ أطلعه على ذلك.

حيث يقول: وضمير الجماعة في قوله (فَأَرَدْنَا) عائد إلى المتكلم الواحد بإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل. وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاظم؛ لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره، فناسبه التواضع فقال (فَأَرَدْنَا)، ولم يقل مثله عند ما قال (فَأَرَدتُّ أنْ أعِيبَهَا) لأن سبب الإعابة إدراكه لمن له علم بحال تلك الأصقاع.(١)

ثم يرى ابن عاشور إن إسناد الإرادة في قصة الجدار إلى الله ــ تعالى ــ دون القصتين السابقتين ــ أي في قصة السفينة وفي قتل الغلام ــ، لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سرّه لأن فيهما دفع فساد عن الناس بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين.(٢)

ثانيا: المواضع الجديدة التي تعرض لها الإمام محمد الطاهر بن عاشور ولم يتعرض لها السابقون.

من المواضع التي تعرض لها ابن عاشور وقام بوضع توجيه لها ولم يتعرض لها أحد من العلماء السابقين، ما ذكره في توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في سورة هود(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا)(٣) وقوله ــ تعالى ــ في سورة الأحقاف (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ)(٤) حيث جاءت آية هود بلفظ (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) والتقدير وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، أما سورة الأحقاف فجاءت بلفظ الإنذار.

---

(١) التحرير والتنوير١٦/١٣
(٢) التحرير والتنوير١٦/١٤
(٣) سورة هود،آية:٥١
(٤) سورة الأحقاف،آية:٢١

فيرى ابن عاشور أن آية سورة هود (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) جاءت معطوفة على ما سبقها، وهو قوله ــ تعالى ــ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)،[١] أما آية سورة الأحقاف فقد ذكرت قصة هود في سياق الأمر بتذكير النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقومه المكذبين له وبما جاءهم به، بما حل بقوم عاد الذين كذبوا أخاهم هودا ــ عليه السلام ــ فأنزل الله ــ تعالى ــ بهم عقابه، مع ما فيها من التسلية لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ما يجده من تكذيب قومه وعنادهم له.

حيث يقول عند تفسيره لآية هود: قوله تعالى (وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً) عَطْفٌ عَلَى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ) وَالتَّقْدِيرُ: وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا.[٢]

بينما يقول عند تفسيره لآية سورة الأحقاف: سيقت قصة هود وقومه مساق الموعظة للمشركين الذين كذبوا بالقرآن كما أخبر الله عنهم من أول هذه السورة في قوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)[٣] ...وسيقت أيضاً مساق الحجة على رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى عناد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم. ولها أيضاً موقع التسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ما تلقاه به قومه من العناد والبهتان لتكون موعظة وتسلية معا يأخذ كل منها ما يليق به.[٤]

ومن هذه المواضع أيضا ما ذكره عند توجيه متشابه قوله ــ تعالى ــ في قصة لوط ــ عليه السلام ــ في سورة الأعراف (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ

(١) سورة هود،آية:٢٥
(٢) التحرير والتنوير١٢/٩٤
(٣) سورة الأحقاف،آية:٣
(٤) التحرير والتنوير٢٦/٤٤

دُونِ النِّسَاءِ)[١] وقوله ــ تعالى ــ في سورة النمل (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ)[٢] وقوله ــ تعالى ــ في سورة العنكبوت (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ)[٣] حيث جاء الحق ــ سبحانه ــ بالاستفهام الإنكارى في سورتى النمل والعنكبوت، وجاء بالخبر المستعمل في الإنكار في سورة الأعراف.

وفي ذلك يقول ابن عاشور ــ رحمه الله ــ أثناء تفسيره لآية سورة النمل: فهنا جيء بالاستفهام الإنكاري، وما في الأعراف جاء الخبر المستعمل في الإنكار، فيجوز أن يكون اختلاف الحكاية لاختلاف المحكي بأن يكون لوط قد قال لهم المقالتين في مقامين مختلفين. ويجوز أن يكون اختلاف الحكاية تفنناً مع اتحاد المعنى. وكلا الأسلوبين يقع في قصص القرآن، لأن في تغيير الأسلوب تجديداً لنشاط السامع.[٤]

فهو يرى أن اختلاف هاتين المقالتين لاحتمال أن يكون لوط ــ عليه السلام ــ ذكر المقالتين في مقامين مختلفين، فلذا أعيد ذكرهما على حسب كل مقام قيلت فيه، أو أن يكون هذا من باب التفنن في القول حتى لا يعاد الكلام بنفس ألفاظه مما قد يولد السآمة، أما حينما يعاد بأسلوب مختلف يكون فيه تجديد لنشاط السامع.

وهذا من اجتهاد ابن عاشور في دراسة موضع لم يتعرض لها من سبقه، حيث إن كتب التفاسير السابقة لم تتعرض في هذا الموضع لبيان الفرق بين استخدام الاستفهام الإنكارى (أَئِنَّكُمْ) وبين استخدام الخبر المستعمل في الإنكار(إِنَّكُمْ).

---

(١) سورة الأعراف،آية:٨١

(٢) سورة النمل،آية:٥٥

(٣) سورة العنكبوت،آية:٢٩

(٤) التحرير والتنوير١٩/٢٨٨

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة والبركات.

وبعد الفراغ من هذه الدراسة، التي أرجو من الله ــ تعالى ــ أن أكون قد وفقت فيها وإليها كان لا بد أن يسفر البحث عن نتائج علمية، من أهمها وأبرزها:

١. اتسم الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ بسيرة علمية محمودة حيث اهتم بكثير من العلوم، وظهر نبوغه وتفوقه فيها، وألف عشرات الكتب في أنواع العلوم المختلفة، فألف في التفسير، والحديث والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم.
٢. يعد كتاب التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور من أهم مصادر توجيه المتشابه اللفظي لآيات القرآن الكريم، فقد اهتم ابن عاشور اهتماما بالغا بتوجيه المتشابهات اللفظية.
٣. أن متشابه القرآن يطلق على نوعين من المتشابه في اصطلاح المؤلفين في علوم القرآن، وهما: المتشابه المعنوى، وهو ما يقابل المحكم، والمتشابه اللفظي، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة.
٤. قِدَم التأليف في علم المتشابه اللفظي، وأن من أهم وأقدم المصنفات التي وصلت إلينا من هذا النوع، كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، وملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، وكشف المعاني عن متشابه المثانى لبدر الدين بن جماعة، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبى يحيى زكريا الأنصارى.

٥. أن المصنفات في المتشابه اللفظي، أخذت اتجاهين: الأول: جمع الآيات المتشابهة وبيان مواضعها، ويطلق على هذه المصنفات في هذا الاتجاه المؤلفات في جمع القرآن حيث لم يعن أصحابها ببيان العلة وتوجيه سبب الاختلاف بين الآيات المتشابهة والثانى: التوجيه والتعليل، وإبراز الفروق بين هذه الاختلافات اللفظية.

٦. تكمن أهمية توجيه المتشابه اللفظى فى الاعتماد على سياق الآيات ــ غالبا ــ ، إذ إنه من أعظم أدوات التوجيه التى اعتمد عليها المصنفون فى هذا العلم.

٧. تأثر الإمام العالم محمد الطاهر بن عاشور كثيرا بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، فتأثر بالخطيب الإسكافي في كتابه درة التنزيل وبالكرماني في كتاب البرهان، وبابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل، وبابن جماعة في كشف المعاني، وبأبى يحيى الأنصارى في فتح الرحمن.

٨. اهتمام علماء التفسير أصحاب التفاسير الكبرى كالزمخشري والفخر الرازى، وأبى حيان، والبيضاوى وأبى السعود بتوجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم، وتأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بهم في هذا العلم.

٩. لم يكن الإمام محمد الطاهر بن عاشور دائم التقليد والتأثر بالعلماء أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي، أو علماء التفسير الذين كان لهم اهتمام بتوجيه المتشابه اللفظي، وإنما كان له ملاحظاته وإسهاماته في بعض المواضع التي قام بدراستها وتوجيهها.

هذا وبالله التوفيق ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

الباحث

مراجع البحث

القرآن الكريم ــ تبارك من أنزله ــ.

١. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ طبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفي ــ نشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ــ نشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ــ لبنان ــ عام النشر: ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م.

٤. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلى ــ نشر دار العلم للملايين ــ ط خامسة عشر ــ سنة ٢٠٠٢م.

٥. أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ــ نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت ــ لبنان، دار الفكر، دمشق ــ سوريا ــ ط أولى ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨ م.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ــ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ــ نشر دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤١٨ هـ.

٧. البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ــ تحقيق: صدقي محمد جميل ــ نشر: دار الفكر ــ بيروت ــ طبعة: ١٤٢٠ ه.

٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ــ نشر دار المعرفة ــ بيروت.

٩. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر أبى القاسم برهان الدين الكرماني ــ تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ــ نشر دار الفضيلة.

١٠. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ــ طبعة:أولى ــ١٣٧٦ هـ ــ١٩٥٧ م

١١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشر ــ المكتبة العصرية ــ لبنان / صيدا

١٢. تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ــ تحقيق: إبراهيم شمس الدين ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٣. التحبير في علم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ــ تحقيق: زهير نورــ ط وزارة الأوقاف الإسلامية ــ الدوحة ــ ط أولى ــ ١٤١٦ه.

١٤. تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ــ نشر دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط ثانية ــ ١٩٩٤م،

١٥. التسهيل لعلوم التنزيل لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي ــ تحقيق د/ عبد الله الخالدي ــ نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤١٦ هـ.

١٦. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ــ نشر دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ طبعة أولى سنة ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م

١٧. تفسير القرآن الكريم لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ــ تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية ــ نشر دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ طبعة أولى١٤١٠ هـ.

١٨.توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا لعبد العزيز بن علي الحربي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين.

١٩.دراسات في علوم القرآن الكريم لـ أ د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ــ الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

٢٠.درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفي آيدين ــ نشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي ــ سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها ــ طبعة: أولى ــ سنة ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م.

٢١.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ــ تحقيق: علي عبد الباري عطية ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى١٤١٥ هـ.

٢٢.سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ــ نشر: دار الحديث ــ القاهرة ــ ط سنة١٤٢٧هـ ــ٢٠٠٦م.

٢٣.صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ــ نشر مكتبة الإيمان ــ المنصورة ــ مصر

٢٤.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ــ نشر دار مكتبة الحياة ــ بيروت

٢٥.طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ــ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ــ نشر مكتبة العلوم والحكم ــ السعودية ــ ط أولى، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م

٢٦.العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ــ تحقيق د/ مهدى المخزومى ــ د/ إبراهيم السامرائى ــ نشر دار ومكتبة الهلال.
٢٧.غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير ابن الجزري ــ نشر مكتبة ابن تيمية.
٢٨.فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور لـــ د/ محمد بن إبراهيم بوزغيبة ــ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ــ دبى ــ ط أولى ــ سنة ١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م.
٢٩.فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبى يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ــ تحقيق: محمد علي الصابوني ــ نشر دار القرآن الكريم، بيروت ــ لبنان ــ طبعة أولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م.
٣٠.فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عَبْد الحَيّ ابن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني ــ تحقيق: إحسان عباس ــ نشر دار الغرب الإسلامي ــ بيروت.
٣١.فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوى ــ نشر: المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ طبعة أولى ــ سنة١٣٥٦ه.
٣٢.الكشاف عن حقائق التنزيل لأبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله نشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ طبعة ثالثة ــ ١٤٠٧ هـ.
٣٣.كشف المعاني في المتشابه من المثانى لبدر الدين بن جماعة ــ تحقيق د/ عبد الجواد خلف ــ سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ــ كراتشى ــ باكستان ــ ط سنة ١٤١٠ه ــ ١٩٨٩م توزيع مكتبة ابن تيمية+ تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف ــ نشر: دار الوفاء ــ المنصورة ــ طبعة أولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

٣٤.لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤١٥ هـ.

٣٥.التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ــ نشر الدار التونسية ــ تونس ــ ط سنة ١٩٨٤م.

٣٦.لسان العرب لجمال الدين بن منظور ــ نشر دار صادر ــ بيروت ــ ط ثالثة ــ سنة ١٤١٤ه.

٣٧.متشابه القرآن ــ مفهومه ــ موضوعه ــ حكمته وفوائده أ د / نادى محمود حسن الأزهرى ــ ط أولى ــ سنة ١٤٣٠ه ــ ٢٠٠٩م

٣٨.المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم وأسراره البلاغية لصالح بن عبد الله بن محمد الشثرى ــ رسالة دكتوراه ــ جامعة أم القرى ــ سنة ١٤١٢ه ــ ٢٠٠١م.

٣٩.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ــ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ــ نشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ــ ١٤٢٢ هـ

٤٠.المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ تحقيق: عبد الحميد هنداوي ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ طبعة أولى ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م

٤١.محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد حبيب بن الخوجة ــ ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ــ قطر ــ ط سنة ١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م،

٤٢.مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ــ نشر: دار الكلم الطيب ــ بيروت طبعة: أولى، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م.

٤٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ــ نشر المكتبة العلمية ــ بيروت.

٤٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ــ نشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان طبعة: أولى ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م

٤٥. معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة ــ نشر: مكتبة المثنى ــ بيروت ــ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٦. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ــ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ نشر دار الفكر ــ سنة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م

٤٧. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ــ نشر دار الكتب العلمية ــ ط أولى ــ سنة ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧م.

٤٨. مفاتيح الغيب لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ــ نشر دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ــ ط ثالثة ــ سنة ١٤٢٠ه.

٤٩. المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ــ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ــ نشر: دار القلم، الدار الشامية ــ دمشق بيروت ــ طبعة: أولى ــ ١٤١٢ هـ.

٥٠. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ــ نشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان

٥١. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ــ تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي ــ نشر دار إحياء التراث ــ بيروت ــ نشر: ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٠٠٦
التمهيد : التعريف بالإمام محمد الطاهر بن عاشور	١٠٠٩
المبحث الأول : مفهوم التوجيه	١٠١٤
المبحث الثانى تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم	١٠٣٥
المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.	١٠٣٥
المطلب الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين.	١٠٥٩
المبحث الثالث: التجديد في دراسة المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور	١٠٨٤
الخاتمة	١٠٩٩
مراجع البحث	١١٠١
فهرس الموضوعات	١١٠٧

تم بحمد الله